رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وقفات تربوية من السيرة النبوية

عبد الحميد جاسم البلالي

مكتبة المنار الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وقفات تربوية من السيرة النبوية

حقوق الطبع محفوظة

ولا يحق لأية جهة أن تطبع أو تعطي حق الطبع لأحد سواء كان مؤسسة رسمية أو أفراد إلا بإذن خطي من المكتبة.

قال الإمام أحمد بن حنبل:

إذا اشترى الرجل من رجل شيئاً وهو يعلم أنه سرقه فقد شاركه.

مسائل الإمام أحمد لأبي القاسم البغوي ص ٦٨

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وقفات تربوية من السيرة النبوية

عبد الحميد جاسم البلالي

مكتبة المنار الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

السيرة النبوية: هي الواقع العملي لمباديء الاسلام وأخلاقه، وهي الصورة الكاملة لتطبيق التوجيهات القرآنية والنبوية، فعندما نقرأ في القرآن الكريم عن أي خلق من الأخلاق، نجد له نماذج، وصور حقيقية في هذه السيرة العطرة، وكذلك عندما نقرأ حديثا، نجد في السيرة صدى لهذا الحديث. فإذا كان للدساتير الوضعية مذكرات تفسيرية، فإن المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم هي السنة المطهرة، والمذكرة العملية للقرآن والسنة هي هذه السيرة النبوية بما تحوي من أحداث:

كبدء الوحي، ومعاناة الرسول ﷺ أثناء تبليغه للدعوة، وما عاناه صحابته الكرام، في مكة وفي المدينة، ثم الحروب التي خاضها من أجل تبليغ دين الله، ثم تأثير القرآن الكريم في حياتهم اليومية، ومشاعرهم، وتعاملهم مع بعضهم البعض، ومع الآخرين. ثم وفاة قائدهم ﷺ، وبوفاته يقفل كتاب السيرة النبوية، ليبدأ كتاب آخر هو سيرة صحابته الكرام من بعده.

والمواقف التربوية في السيرة كثيرة، قلما وقف عندها الدعاة أو الكتاب، لسيتلهموا منها العبر، وليستفيدوا منها في حياتهم المعاصرة، فنحن نعيش في عصر نلتقي في كثير من جزيئياته مع عصر الرسالة، فما أحوجنا لهذه الوقفات، لا لكي نتباكي ونتحسر على تاريخ قد مضى، بل لتكون هذه الوقفات بمثابة تصحيح ما أعوج من المسار، إلى الجادة التي سار عليها الرعيل الأول ، فإنه لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها، ولتكون هذه الوقفات شيئاً من الزاد الذي يعين الدعاة في مواصلة الطريق ، ولتكون هذه الوقفات المستلهمة من التطبيق العملي والصحيح للقرآن الكريم، هي الأصل الذي تلتقي عليه

فئات الحركة الإسلامية بعد ما كثرت الاجتهادات في الدعوة إلى الله، فزاد التشرذم. كما أنه جزء من الاعتصام الذي أمرنا به شرعاً ليقل التفرق فيما بيننا.

وبعد، فهذه وقفات متنوعة، ولكن يغلب عليها الطابع التربوي، وتعمدت التنويع فيها لكي تلائم جميع المستويات الثقافية، والدعوية، والاجتماعية، حتى لاتكون مقصورة على فئة دون الأخرى، وحتى يعم النفع بإذن الله، فإن كان ما كتب فيها خالصاً لوجه الله صحيحاً على السنة، فأسأل الله أن يتقبلها، وألا تقف الحدود والحواجز دونها، لتصل إلى ما لا يصله الصوت، وإن كانت غير ذلك فأسأل الله المغفرة والعفو وألا تتجاوز حدود كاتبها، فالله هو الغني ونحن الفقراء.

عبدالحميد جاسم البلالي

الوقفة ١

عندما أرسل هرقل إلى أبي سفيان وكان في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء وسألهم عن رسول الله ﷺ عن نسبه فيهم، وعن ادعائه للملك، وعن اتباعه، وعن صدقه وعن قتاله معهم، وعما يأمرهم به، فلما أجابه أبو سفيان قال: «فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين»[1].

يقول هرقل هذه العبارة وهو يملك مع فارس العالم كله آنذاك، حيث كان الرسول ﷺ لم يستتب الأمر له بعد.

وعندما حدثت غزوة الخندق تجمع لمقاتلة المسلمين جميع قبائل العرب، وتحالفوا سرا مع يهود كلهم لقتال المسلمين.

هذه بعض حوادث السيرة التي تدل على خطورة الإسلام على القوى العالمية.

نعم فالأخذ بهذا المنهج مناواة لقوى الشر العالمية كلها بما فيها الصهيونية العالمية، والماسونية العالمية والصليبية العالمية، فما منهم من أحد يريد للاسلام أن يحكم، لأن في ذلك خطر عليهم، وعلى بقائهم في قمة السيطرة على مقدرات الشعوب، فإذا ما رأوا وميضا لتطبيق الاسلام الحقيقي في أي بقعة من بقاع العالم، أرسلوا عملاءهم لاجهاض ذلك التطبيق، ولتشويه القائمين عليه، وعملاؤهم يكونون على شكل قادة أو ضباط في الجيش أو أصحاب أقلام وأصحاب صحف أو جواسيس أو أصحاب أموال لشراء الضمائر.

---

(١) البخاري ـ الفتح ١/٣٢.

فعندما وقف كرزون وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض النواب الانكليز بعنف على «كروزن» واستغربوا كيف اعترفت انجلترا باستقلال تركيا، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الاسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب. فأجاب كرزون: «لقد قضينا على تركيا، التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم.. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الاسلام والخلافة» فصفق النواب الانكليز كلهم، وسكتت المعارضة[٢].

ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر»:

«إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الاسلام. يجب محاربة الاسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره»[٣]. وتزداد وضوحا أهداف الصهيونية العالمية، وخوفها من الاسلام ودعاته على لسان الكاتب الصهيوني «ايرل بوغر» في كتابه «العهد والسيف» والذي صدر عام ١٩٦٥ ما نصه بالحرف: «إن المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية، هو أن العرب لا بد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معها، ولكي يصبح هذا التعاون ممكنا فيجب القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي، وهي عناصر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشايخ».

هذا هو السر الذي نجد أن معظم سجون العالم العربي لا تخلو من دعاة إلى الله، ليس لهم ذنب سوى دعوتهم لاقامة حكم الاسلام الذي يرعب اليهود، الذي يعتقدون أن نهايتهم ستكون بتطبيقه، فمتى ندرك ذلك؟!!

---

(٢) مجلة روز اليوسف عدد ٢١/٦/٦٣.

(٣) كيف هدمت الخلافة ص ١٩٠.

الوقفة ٢

اليهود أعداء الرسل والأديان، فضحهم الله في سور كثيرة، وبين تاريخهم الأسود في تكذيب الآيات، وقتل الرسل والأنبياء، فكتب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله: « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ »(١).

ولكن عداءهم استحكم وزاد على الاسلام لأنه الدين الأخير ولأن رسوله محمد ﷺ خاتم الأنبياء، فجرت محاولات كثيرة لقتل الرسول ﷺ كان منها محاولة زينب بنت الحارث اليهودية، وذلك بعد أن قتل أخاها مرحب وزوجها سلام بن مشكم في خيبر، فأرادت الانتقام بقتل رجلين من المسلمين بوضع السم لهما في الطعام.

دخلت على صفية عمة الرسول ﷺ وصانعتها بالتودد حتى اطمأنت لها، وبعد ذلك أرادت أن تقدم هدية للرسول ﷺ شاة مشوية قد دست السم في المكان الذي كان يحب الرسول ﷺ من الشاة وهو الكتف، وعندما قدمت صفية الشاة المسمومة للرسول ﷺ وصحابته، وبدأ أحد الصحابة وهو بشر من البراء بالأكل، أخبرته الكتف بالسم فأمر أصحابه بالكف عن الأكل.

فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك، لقد وجدت ذلك في أكلتي التي

(١) البقرة ٦١.

أكلت، فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمتك أن أبغضك طعامك، فلما أسقت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك[٢].

ـ ثم مات بشر، واعترفت اليهودية بوضع السم. فأمر الرسول ﷺ بقتلها قصاصا.

منذ أن بعث الرسول ﷺ وعرفوا أنه عربي وليس منهم حقدوا عليه وعلى الدين الذي أرسله الله به، فما فتئوا يدبرون المؤامرات تلو المؤامرات للقضاء على هذا الدين وأتباعه، حتى زماننا هذا، ومنذ معركة خيبر، والتي انتصر بها المسلمون على يهود وتم طردهم بعد ذلك، حتى عام **١٩٦٧** تستمر سلسلة الأحقاد دون انقطاع، فعندما دخلت قوات اسرائيل القدس عام **١٩٦٧** تجمهر الجنود حول حائط المبكى، وأخذوا يهتفون مع موشى دايان: هذا يوم بيوم خيبر. . يالتارات خيبر. وتابعوا هتافهم: حطوا المشمش عالتفاح دين محمد ولى وراح. وهتفوا أيضا: محمد مات خلف بنات[٣].

ذلك لأن عداءهم مع العرب ليس بسبب عنصرهم كعرب، بل لأن دينهم هو الاسلام، وهذاما تؤكده الأحداث الأخيرة في لبنان، حيث تحالف اليهود مع الكتائب لضرب المسلمين في المخيمات وفي قرى الجنوب والشمال اللبناني، وتحالفوا مع الدروز والباطنيين لضرب المسلمين في بيروت الغربية، وها هو مناحم بيغن يصرح مخاطبا قومه: أنتم الاسرائيليون لا يجب أن تشعروا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم. لا عطف ولا رثاء حتى ننتهي من إبادة ما يسمى بالحضارة الاسلامية التي سنبني على أنقاضها حضارتنا[٤].

---

(٢) ذكرت هذه الحادثة بروايات كثيرة فقد ذكرها البخاري ١٦٩/٥ ومسلم (٢١٩٠) وأبو داود (٤٥١١).

(٣) دمروا الإسلام ص ٣٦.

(٤) الحوادث اللبنانية عدد ٧٢١ ـ ٤ أيلول ١٩٧٠.

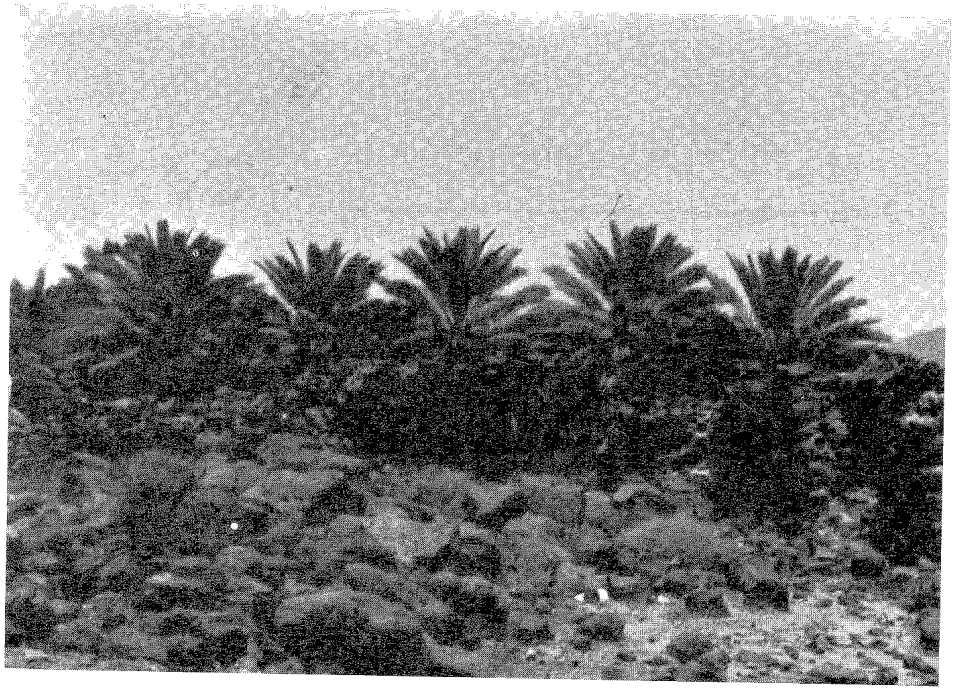

● حصن كعب بن الأشرف

وهذا بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل سابقا يقول: (إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد)(٥) .

فمعركة اليهود منذ مبعث الرسول ﷺ كانت مع الاسلام، كدين ومع حملته، لأنها تعلم يقينا أنه لا يستطيع دين في الوجود أن يفضحهم ويبين خياناتهم وأخلاقهم سوى الاسلام، الذي ما زال يحتفظ بأصوله دون تغيير في كتاب المسلمين المقدس «القرآن».

(٥) جريدة الكفاح عام ١٩٥٥.

الوقفة ٣ شبهات الباطل حول الحق

صراع الحق مع الباطل قديم، قدم هذا الانسان على هذا الكوكب، بل أقدم من ذلك، فمنذ أن خلق الله الانسان وأمر الملائكة ومن ضمنهم إبليس بالسجود لآدم «فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ»[1] ومنذ تلك اللحظة حقد إبليس على بني آدم، بسبب تكريم الله لهذا المخلوق على باقي خلقه لما ميزه عنهم بالعقل والعلم، وأقسم الشيطان بالانتقام من هذا المخلوق وتسخير جميع ما أعطاه الله من ملكه لاغواء بني آدم ثم إلقائهم جميعا في جهنم إلا فئة قليلة منهم «المخلصون» المتبعون لمنهج الحق، فقال بحقد «لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا»[2] أي لأستولين على ذريته إلا أولئك القليل، ومنذ ذلك الوقت أصبح هناك صراع بين هذه القلة التي تتواجد في كل عصر وبين أولئك الكثير الذين أضلهم إبليس وقادهم إلى جهنم، والصراع سببه إصرار إبليس على فتنة معظم بني آدم بكل ما يملك من الوسائل، وإصرار العصبة القليلة من اتباع الحق السائرين على منهج الهداية، على الثبات على هذا المنهج خوفا من جهنم، وبين هذين الاصرارين ينتج الاحتكاك، ويكون الصراع بين الفريقين متخذا أشكالا عدة، ومن أبرز أساليب اتباع الباطل والفساد هو إلقاء الشبهات واختلاق الأكاذيب لتشويه نصاعة مسيرة أصحاب الحق حتى ينفر الناس منهم ويصدقوهم بما يقولون، لأن الناس جبلوا على كراهية من يخالف قوله فعله، هذا جانب من جوانب الحرب التي لاقاها رسول الله ﷺ في بداية الدعوة «حرب الاشاعات والشبهات».

---

(١) البقرة ٣١.

(٢) الإسراء ٦٢.

يقول الكلبي: «وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله، ثم مر أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل؟ قال نعم، هذا في الذروة منا، فعن أي شانه تسألون؟ فاخبروه بما دعاهم إليه وقالوا؛ زعم أنه رسول الله، فقال: ألا لا ترفعون برأسه قولا، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر»(٣).

وإذا كانوا في الماضي يقولون عن الرسول ﷺ واتباعه مجانين وسحرة وكهنة، فاليوم لاتتناسب هذه الشبهات مع عصر العلم الحديث وإنما يقولون «متعصبون» والناس يكرهون التعصب ويقولون «طائفيون» والناس يكرهون التفرقة.

ويقولون «رجعيون» والناس يحبون التقدم.

ويقولون «يريدون قلب نظام الحكم» لتخويف الانظمة فتتسلط عليهم بالتضييق والتذبيح والسجن، ويخوفون الشعوب لأن الناس لا يحبون القلاقل والفوضى، ويحبون الاستقرار والنظام.

هذه بعض جوانب المعركة الدائمة بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل، تتكرر في كل زمان ومكان.

هذا مع علم أصحاب الباطل أن أصحاب الحق على حق، لذلك كانون يسمون الرسول ﷺ وهم يحاربونه بـ «الصادق والأمين» وكانوا حتى يوم هجرته يضعون عنده ودائعهم، والتي أوصى عليا رضي الله عنه بردها عليهم قبل هجرته، ومع ذلك كانوا يحاربونه ويصفونه بالساحر الكذاب والكاهن والمجنون والسفيه. ولندلل على ذلك بما رواه العوفي عن ابن عباس قال: «دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما

---

(٣) البداية والنهاية ٣/١٤١.

هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله. فلما سمع بذلك النفر من قريش إئتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبوا قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه، فأنطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال ألست أكثركم مالاً وولداً. فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه. فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتي! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا ـ إلى قوله ـ لا تبقي ولا تذر﴾(٤).

إذن التكذيب والحرب بين الحق والباطل ليست ناتجة عن قناعة حقيقية بكذب الحق، ولكن للابقاء على بعض المكاسب الدنيوية، خوفا من زوالها إذا تبعوا الحق وأشاعوا تصديقه.

---

(٤)تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٣.

الوقفة ٤

عندما أسلم عياش بن أبي ربيعة، وهاجر مع من هاجر إلى المدينة «خرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام إلى عياش، وكان ابن عمهما وأخاهما ـ لأمهما ـ حتى قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه، وقالا له: إن أمك قد نذرت أن لايمس رأسها مشط حتى تراك/ ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها، فقال له عمر رضي الله عنه: إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: فقال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فآخذه، فقال له عمر: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي، ولا تذهب معهما. قال عمر: فأبى علي إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إن فعلت فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم ريب، فانج عليها. فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى: فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن. فكنا نقول: لايقبل الله ممن إفتتن توبة. وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأنزل الله «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ....» الآية قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص ... فرجع هشام وعياش إلى المدينة مع الوليد بن المغيرة»[1].

(١) البداية والنهاية ١٧٢/٣.

* تكـــرر الصـــورة:

هذه الصورة تتكرر في كل عصر يشتد فيه ويعلو صوت الباطل على الحق، تتكرر في جميع زواياها، من حيث محاولة أهل الباطل استخدام الحيل الكثيرة لفتنة الدعاة، ومن حيث محاولة إخوان المفتتن بصـده وتحذيره من تصديق أهل الباطل، ومن حيث تصديق بعض الدعاة لحيل أهل الباطل، ومن حيث خيانة أهل الباطل وكذبهم على الدعاة، ومن حيث تكرر الخلاف الذي يحدث في الصف الواحد، عندما يحاول أهل الباطل استخدام إحدى هذه الحيل لفتنة الدعاة، ومن حيث افتتان البعض ونكوصهم على أعقابهم حتى يكونوا هم أكثر عداءً من أهل الباطل أنفسهم على إخوانهم بالسابق.

* أنـواع هذه الحيل:

إنهم يدرسون كل فرد، أو كل مجموعة على حدة، دراسة مستفيضة يعرفون نقاط الضعف، ونقاط القوة فى كل فرد، ومن خلال هذه الدراسة يبدءون بحياكة هذه الألاعيب، ونصب هذه الشباك، ليقع فيها من يقع من الدعاة، ومن أهم هذه الألاعيب.

(١) التركيز على الأقـارب:

كما فعل أبو جهل، ذلك لأنها أقوى علاقة يتعامل معها الداعية بسبب الحث الكثـير من القـرآن والسنـة لتأكيد هذه العلاقة، خاصة فيما يخص الوالدين، فقد يرسلون لمن يريدون القبض عليه برقية مزورة باسم أمه أو أبيه، بأن يحضر لتلك البلد ـ التي هاجر منها اتقاءاً للفتنة ـ فإذا ما جاء قبض عليه، أو أنهم يهددونه بأمه أو أبيه بأن يمسوهم بسوء، أو بأخوانه، ذلك ليثيروا فيه الغيرة والعاطفة، حتى يلقوه في شباكهم، وكم من الدعاة سقط في مثل هذه الشباك، ونسأل الله الثبات.

(٢) التركيز على المال والمنصب:

إما بإعطائه، أو منعه، فتتوقف الدرجات والعلاوات، ويحرم من المناصب التي هو أهل لها، وتعطى لمن هو دونه لإقاضته، هذا الوضع يجعل البعض يفكر جدياً بتغير هويته الإسلامية، والتنازل عن مبادئه في سبيل الحصول على ما فقده بسبب التزامه، وكم رأينا من أثرث فيه هذه الحيلة وابتعد عن الطريق من أجل شراء الدنيا، ونسأل الله الثبات.

أو تكون بعرض هذه المناصب العالية، والدرجات من أجل التنازل عن مبادئه، ولعمر الحق إن هذه الفتنة أقوى بكثير من أختها، ذلك أن الفتنة الأولى يصمد لها الكثير بسبب روح التحدى، ولكن الأخرى لا يصمد أمامها الكثير بسبب الشهوة الجامحة في النفس البشرية للمنصب والمال، وكم من داعية خان الأمانة بعد افتتانه بالمنصب والمال، وكشف مالم يكشف، وسبب الكثير من الأذى لإخوانه، ثم بعد ذلك رماه أهل الباطل بعد أن استنفذوا ما عنده.

(٣) إظهار الثناء:

فتراهم يكيلون المدح في الإعلام لفصاحة الداعية «فلان» الذي يريدون فتنته، أو جمال أفكاره ويضربون به المثل على صواب خطه وخطأ خط إخوانه الدعاة الأخرين، ويرمون من وراء ذلك إلى إدخال العجب والغرور في نفسه، ليكون مع مرور الوقت أداة هجوم على إخوانه بما يرميهم به من تسفيه أرائهم وأفكارهم، وصواب رأيه هو، الأمر الذي يجعله يترك الصف، أو يشقه فيتم لهم ما يريدون.

(٤) البعثات للخارج:

فإذا كان مؤذياً لهم، فإنهم يرسلونه للخارج لبعثة دراسية، أو لتمثيل

بلده بمؤتمر، أودورة، أو تمثيلاً دبلوماسياً، أو لأى غرضٍ من الأغراض، ويتفقون هناك مع بعض من يقوم بإغرائه بالفتيات، أو أن الجو هناك يكون بذاته فتنة له، ويبعده عن الجادة التي تربى عليها، أو أنهم يرسلون له من يخلصهم منه هناك بحادث ضد مجهول، بعيداً عن غضبة جمهوره في بلده.

(٥) الاستهزاء وتلبيس التهم:

وهذه الوسيلة هي أكثر الوسائل والحيل انتشاراً، إذ أن كثرة الاستهزاء والتهكم والاتهام بالباطل لحملة الدعوة، من خلال الحملات الصحفية بمناسبة وبغير مناسبة، يشكل ضغطاً نفسياً على بعض الدعاة، مما يؤثر على سيرهم في الدعوة، وثباتهم على طريق الحق. هذه بعض الحيل التي يستخدمها أهل الباطل لفتنة الدعاة، ولكنها جميعها تتكسر أمام الرجال الذين ربوا أنفسهم على التضحية في سبيل الله، بعد أن قبلوا ببيع النفس والمال ابتغاءاً لوجهه الكريم وجنته، والابتعاد عن ناره، وعرفوا حقيقة الدنيا وزينتها، فلم تغرهم بعد أن زهدوا فيها، ورغبوا فيما عند الله.

الوقفة ٥ — أليس الله بكاف عبده

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا «بذي أمر» يريدون حربه، فخرج إليهم الرسول ﷺ واستعمل عثمان على المدينة وعندما وصلوا إلى موقع المعركة ولم يجدوا أحدا من الأعداء، خيموا في أماكنهم، وسقط عليهم المطر فابتلت ثيابهم، فذهب رسول الله ﷺ تحت شجرة ونشر ثيابه، فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث، «وسيف الرسول ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف النبي ﷺ فاخترطه - أي سله - فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال «لا» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» قال فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف وعلقه»(١).

ثم نزلت الآية الكريمة، قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾(٢)

وهي نعمة يذكر الله بها دعاته في كل عصر عن كفه لمحاولات البطش الكثيرة التي يتعرضون لها بالليل والنهار، ولكن الله يحبطها وهم لا يشعرون.

هذا الشعور بكفاية الله، يكاد أن يكون السمة الرئيسية لكثير من مواقف الرسول ﷺ، فنراه يوم الغار، وفرسان قريش على بعد أقل من متر منه مشهورة سيوفهم، كل منهم يتمنى أن يكون له السبق والشرف بقتل

---

(١) مسلم (٨٤٣).

(٢) المائدة ١١، وجاء في نزولها أنها بسبب حادث بني النضير ومحاولتهم طرح حجارة على النبي ﷺ.

● عار نور

الرسول ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه في الغار مضطرب خائف على الرسول ﷺ والرسول ﷺ بكل ثقة يهديء من روعه، ويقول له: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[٣] «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»[٤].

هذا الشعور نحن في أمس الحاجة له كأفراد إذا ما جابهتنا المصائب الدنيوية، فنستشعر أن الله معنا ولا يتركنا أبدا وهو القائل «فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»[٥] وإذا ما هددنا البشر بقطع الأرزاق أو بأي ضرر، نتذكر أن مالك الرزق هو الله، والضار والنافع هي من أسماء الله، فلا نعبأ بتهديد بشر مثلنا لا يملك الضرر ولا النفع ولا الرزق ونقول «إن الله معنا» نحتاج إلى مثل ثقة الرسول ﷺ بربه، وإيمانه بقدرته على كل شيء قدير، فلم يخفه بريق السيف وهو مصلت عليه، بل أجاب بكل ثقة بالله، «يمنعني الله».

ونحتاج هذا الشعور كحكومات في العالم الثالث أو ما يسمونها بدول العالم النامية، فعلينا إن أردنا النصر، أن ننصر الله، بتطبيق منهجه في الحكم ونترك مناهج البشر وراءنا ظهريا، ونقتدي بهدي نبيه ﷺ بالاقتصاد والسياسة والاجتماع، ونعطر الأجواء بسلوكيات القرآن الكريم، حينها نستحق من عنده النصر، لتطبيق قاعدة «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ»[٦] وحينها لا نخاف كحكومات تهديد أحد من القوى العظمى أو المتوسطة لأن شعورنا سيبقى دائما إن الله أقوى من كل قوي، وما دام معنا فلن يخذلنا أبدا لأننا نصرناه، ولأن القاعدة ماضية ما دامت السموات والأرض «إن تنصروا الله ينصركم».

---

(٣) البخاري ـ الفتح (٤٦٦٣).
(٤) التوبة ٤٠.
(٥) البقرة ١٨٦.
(٦) محمد ٧.

الوقفة ٦ الشعوب والقيادة المفقودة

المتفحص لإحوالنا، وللذل الذي وصلنا إليه، وللثقة المتزعزعة بين القيادة والقاعدة، يدرك أن من أكبر أسباب هذه الحالة هو عدم رؤية القاعدة لبيئة يستنشقون منها شذى الحرية، ولم يروا منذ فترة طويلة قائدا يقبل النصح والتوجيه، أو حتى يشاور القاعدة قبل أن يتخذ القرار، لذلك تزعزعت الثقة بل تلاشت بين القيادة والقاعدة، وزالت مظاهر المحبة والولاء للقيادة، لأنها هي التي بدأت بنزع الولاء والمحبة للقاعدة، وأصبحت تنظر للشعوب نظرة استعلاء واحتقار واستصغار، ودأبت على احتكار القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فبغضتها الشعوب، وفتكت بها في بعض البقاع، وتتوهم القيادة التي هذا شأنها حينما ترى تجمع القاعدة أحيانا حولها أو سكوتهم على ظلمها وخنقها للحريات، فيظنون أنهم على صواب، وما دروا أن سبب ذلك، هو خوف الشعوب من «هز العصا».

وإن السبب الرئيسي الذي جعل الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم يفدون الرسول ص بأنفسهم وأولادهم وأموالهم، هو كسره لهذه الحواجز بين القيادة والقاعدة، وحبه لشعبه، ومشاورته لهم، ورضوخه في كثير من الأحيان لرأي الأغلبية وإن خالف رأيه، **فها نحن نراه قبل غزوة أحد يشاور الصحابة بأسلوب ملاقاة العدو، فمنهم من رأى البقاء في المدينة وأنتظار العدو حتى يأتي ثم محاربته وهم في المدينة، وكان هو ﷺ يرى هذا الرأي، إلا أن الأغلبية كانت ترى الخروج لهم خارج المدينة، فرضخ لرأي الأغلبية المعارض لرأيه، فعندما أحس بعض الصحابة أنهم أكرهوه على أمر يخالف**

رأيه، ذهبوا يعتذرون له، ويريدون منه تغيير أرائهم، فقال لهم: «ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا»[1].

إن صفة نزول القيادة من الأبراج العاجية، إلى القاعدة والاحتكاك بها وإحترام رأيها، وعدم إهمالها، هي أحد الأسباب التي جعلت بعض الصحابة كأبي دجانة في غزوة أحد، يحني نفسه على الرسول ﷺ حين أشتد القتال، ليعرض ظهره لاسهم الأعداء حتى يمتلىء دون أن يتحرك، حبا في الرسول ﷺ، وجعل أحدهم يحاول إخراج حلقة المغفر التي دخلت في لحم الرسول ﷺ فيمتلىء فمه بدم الرسول ﷺ، فيقول الرسول ﷺ مجه، فيقول لا أمجه، ويبلعه. فيسأله ما الذي حملك إلى هذا، فيقول جسدي أولى بدمك من الأرض. وأمراة يقتل زوجها وولدها وقريب لها، وتخبر باستشهادهم فلا تتأثر وتظل مصممة على رؤية الرسول ﷺ وهي تدور في أرض المعركة وتسأل عن الرسول ﷺ، وهم يقولون لها إنه بخير، فلا تطمئن حتى تراه، فعندما رأته قالت له، كل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل.

---

(١) البداية والنهاية ٤/١٣ وعند ابن هشام «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه» ٢/٦٣، ٦٦، وعلق البخاري ١٣/٢٤ بعضه وأخرجه بتمامه وبنحوه أحمد ٣/٣٥١، والدارمي ٢/١٢٩، ١٣٠ موصولا ورجاله ثقات «تخريج أحاديث زاد المعاد للأرناؤوط ٣/١٩٣».

الوقفة ٧ صرخات نساء ولا معتصم

صرخة واحدة من امرأة مسلمة تحرك الجيش الاسلامي ليرد لها اعتبارها وكرامتها، فقد روى ابن هشام عن هذه الحادثة قوله «كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فاغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع»[1].

ثم جهز الرسول ﷺ جيشا لتأديب بني قينقاع وإجلائهم من المدينة، تلك الصرخة التي أطلقتها تلك المرأة سمعتها آذان تسمع وقلوب تنبض فيها الدماء تمتزج مع الغيرة والشهامة، تلك الصرخة تلقفها رجال وليسوا أشباه رجال، فكانت أن أصلت إغاثة الأعراض في نفوس المسلمين، فمنذ ذلك التاريخ والمرأة مصانة عرضها، يسمع لصرختها إذا استنجدت الملايين من المسلمين، كل منهم يحسب أن كل امرأة مسلمة هي عرضة وأن كانت لا تمت له بصلة إلا صلة العقيدة، حتى جاء زمن المعتصم، ويسمع عن امرأة يعتدى عليها وتهان كرامتها فتصرخ «وامعتصماه» فتهز قلبه تلك الاستغاثة وتغلي الدماء في قلبه، فيعد العدة ويجهز الجيش ليسيره من أرض الخلافة إلى الأرض التي صرخت منها تلك المرأة ليؤدب العدو ويرد للمرأة اعتبارها وكرامتها

---

(١) السيرة النبوية ـ لابن هشام ٢/٤٧، ٤.

ثم يرجع منصورا على عدوه الذي استهان بأعراض المسلمين، أما الآن فكم من صرخات تتلاشى وتتفتت على جدار الصامتين من الأنظمة، صرخات اخواتنا في فلسطين كل يوم على أيدي يهود، وصرخاتهن في مخيمات لبنان على أيدي الكتائب والباطنيين، وصرخات المسلمات العفيفات في أفغانستان على أيدي الجيش الروسي، وصرخاتهن في الفلبين وفي بلغاريا، صرخات، صرخات، في كل مكان ولا مجيب فلقد مات رواد الجيل الأول ومات جيل المعتصم فلا معتصم، وتظل صيحات النساء المسلمات لا ترى لها صدى ولا ترى غيرة تتحرك أو دما يفور، وربما لو وجهت هذه الصيحات الكثيرة للجبال لتحركت، ولكنها للأسف ما زالت تنادي ذكورا تحولت قلوبهم إلى حجارة بل هي أشد واختبأت رجولتهم، فما عادوا يظهرونها إلا على أبناء عمومتهم. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الوقفة ٨

أتألم كثيرا، ويتألم معي كثير من الدعاة لابتلاء الحركة الإسلامية المعاصرة ببعض النماذج ممن يسمون أنفسم «دعاة» والذين لا يعرفون كيف يتعاملون مع المجتمع وكيف يخاطبون الناس لإيصال ما يريدون إيصاله من الحق، وبالتالي يضرون الدعوة أكثر بكثير مما يظنون نفعها.

الناس بفطرتهم، وخاصة مجتمع الجزيرة، لا يكرهون الإسلام، ولا يحملون في قلوبهم شيئا ضده، بل يمجدونه، ويعتزون بحمله، ذلك لأنهم مسلمون، ولا يجوز سوء الظن بهم، لأن الأصل في المسلم براءة الذمة، ولكننا نجد أحياناً بين هؤلاء المسلمين والذين لا يتركون فرضا دون أداء، نجدهم «يبغضون الدعاة إلى الله» دون تفريق، وهذا ظلم، ولكنني في كثير من الأحيان أعذرهم ولا ألومهم خاصة عندما أرى بعض الممارسات الخاطئة بأسلوب الدعوة عند البعض القليل ممن نسبوا للحركة الإسلامية وهي منهم براء والسبب الذي حدا بهؤلاء أن يجدوا هذا «الإعراض» ممن يصلون فضلا عمن يحاربون الإسلام وطرحه، هو عدم معرفتهم الطريق للوصول إلى قلوب الناس، والداعية إلى الله متى ما عرف كيف يسلك ويتسلل إلى قلوب الناس، استطاع حينها أن يوصل كلمات الحق إلى أكبر المعاندين، وسيصغى وإن لم يقتنع، بإذن الله وذلك ما كان يتحلى به الرسول ﷺ من معرفة للوصول إلى القلوب حتى يجعلها تصغى إليه، فتراه يعرض دعوته على القبائل في المواسم.

ومن ذلك ما روى ابن اسحق قال: حدثني محمد بن عبدالرحمن بن حصين: أنه أتى كلبا «أي الرسول ﷺ» في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم

بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى أنه ليقول: «يا بني عبدالله، إن الله قد أحسن اسم أبيكم»[1].

ونرى رفقه ﷺ مع ذلك الأعرابي الذي بال في مسجده.

ما يرويه أنس بن مالك قال: «جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فأهريق عليه»[2].. البخاري.

فلم يؤنبه ولم يعنفه، إنما رفق به وتركه يكمل بولته، ولو فعل غير ذلك مع ذلك الجاهل، قطعا لنفر من الإسلام وهديه، ونراه في موقف آخر يتعرض له مع أعرابي جلف ويستمر بنفس أسلوبه من الرفق، يقول أنس رضي الله عنه «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ. وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء»[3].

فما كان يغضب لنفسه أبدا، وما كان يعامل الجاهل معاملة قاسية وهذا هو واجب الدعاة الذي يجب أن يمارسوه تجاه من يجهل أمر هذا الدين، فيعاملونه بالرفق حتى يتقبل ما يقولون، ولا يعنفونه ويقسون عليه، بل يتحملون ما يصيبهم من أذى من هؤلاء الجهلة في سبيل إيصال كلمة الحق، لأنه يجب أن يستشعروا أنهم أطباء، والطبيب لايغضب من تصرفات المريض، ويصور لنا الرسول ﷺ قمة الرفق مع المدعو والصبر على الجاهل، حينما يقول

---

(١) البداية والنهاية ٣/١٣٩.

(٢) البخاري ١/٢٧٨، ٢٧٩ ولفظ البخاري «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

(٣) البخاري ١٠/٢٣٤ ومسلم (١٠٥٧).

«يحكى أن نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون»(٤).

ولا نصل إلى هذا المستوى حتى تنمو في نفوسنا بذور الحب والشفقة والرحمة والرفق بمن ندعوا، فإذا ما أحسوا ذلك منا، أقبلوا علينا يستمعون دون ملل، يقول سيد قطب رحمه الله في كتابه أفراح الروح: «عندما تنمو في نفوسنا بذور الحب والعطف والخير، نعفي أنفسنا من أعباء ومشقات كثيرة، إننا لن نكون في حاجة إلى أن نتملق الآخرين لأننا سنكون يومئذ صادقين مخلصين إذ نزجي إليهم الثناء، إننا سنكشف في نفوسهم عن كنوز من الخير وسنجد لهم مزايا طيبة نثني عليها حين نثني ونحن صادقون. ولن يعدم إنسان ناحية خيرة أو مزية حسنة تؤهله لكلمة طيبة، ولكننا لانطلع عليها ولا نراها إلا حين تنمو في نفوسنا بذرة الحب، كذلك لن نكون في حاجة لأن نحمل أنفسنا مؤونة الصبر على أخطائهم وحماقاتهم لأننا سنعطف على مواضع الضعف والنقص ولن نفتش عليها لنراها يوم تنمو في نفوسنابذرة العطف. وبطبيعة الحال لن نجشم أنفسنا عناء الحقد عليهم أو عبء الحذر منهم فإنما نحقد على الآخرين لأن بذرة الخير لم تنم في نفوسنا نموا كافيا، ونتخوف منهم لأن عنصر الثقة في الخير ينقصنا»(٥).

(٤) البخاري ٢٤٩/١٢ ومسلم (١٧٩٢).
(٥) أفراح الروح ١٢،١١ط - ابن القيم.

الوقفة ٩

عندما بعثت قريش عتبة بن ربيعة للرسول ﷺ حتى يعرض عليه بعض الأمور ليكف بزعمهم عن أذاهم، جاء للرسول ﷺ وقال له: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قال. وفي رواية: وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا.

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد». قال: نعم. قال: اسمع مني. قال: افعل. فقال رسول الله ﷺ: «حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون».

فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها. فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها. ثم قال: سمعت يا أبا الوليد..؟ قال: سمعت. قال: فأنت وذاك، ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد..؟ قال: ورائي إني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكوننن لقوله الذي سمعت نبأ»[1].

(١) البداية والنهاية ٦٣/٣ رواه ابن إسحق بصيغة (حدثني).

وهكذا دائما تعرض على أصحاب قولة الحق، وحملة الدعوة ألوانا من المغريات كي يتركوا قولة الحق، ويهادنوا أهل الباطل ويتركوهم في باطلهم وفي تدجيلهم على الشعوب، لتظل الشعوب في ظلام دامس لا تهدي إلى الجادة ولا تعرف أين السبيل، ولكي يجري الظلم في عروق الشعوب حتى يظنوا أنه هو الأصل، والعدالة هي الفرع، فيصفقوا للظلم وللظلمة، ويدعوا بالثبور للدعاة الذين يبصرونهم بطريق العدالة ومنهج النور، هذه النوعية من الشعوب هي أمنية الطغاة في كل عصر، فهم يريدون قيادة قطاعا من السذج والبهائم بصورة بشر، لا يعرفون ما يصلحهم وما هو بصالحهم، ولأن أصحاب الحق ـ الدعاة إلى الله ـ الذين يحملون مشاعل النور هم الذين يقومون بهذه المهمة، وهي تبصير الناس بحقوقهم، وواجبات من يسوسهم، يصادفون بالطبع حربا شعواء من خصومهم التقليديين الظلمة والطغاة، لأن عمل الدعاة يؤدي إلى تصدع العروش من تحتهم وزلزلة الأرض من تحت أقدامهم، لذلك يقومون بعرض هذه المغريات لعلهم يشترونهم فيرصونهم إلى صفوفهم.

كما نلاحظ أدبا نبويا فريدا في الحوار مع الخصوم، يفقده الكثير منا في هذا العصر، فهو يسمع لكلام خصمه دون أية مقاطعة، مع علمه أن ما يقوله الخصم باطل، ولكن هذا لا يمنعه من سماعه إلى النهاية، ثم يقول له بأدب جم واحترام: أفرغت يا أبا الوليد..؟ فيقول: نعم، فقال حينها: اسمع مني.

ما أجمل هذا الخلق الذي فقدناه بين القوى السياسية المختلفة في حوارها، فطرف يريد أن يستمع إليه الطرف الآخر دون أن يترك له المجال للرد أو إسماع رأيه للآخرين، ويقوم باحتكار صحيفته ومنبره لإسماع رأيه فقط وعدم ترك المجال للخصم أن يرد أو يعرض رأيه عن طريق صحيفته، وهذا هو عين الجهل.

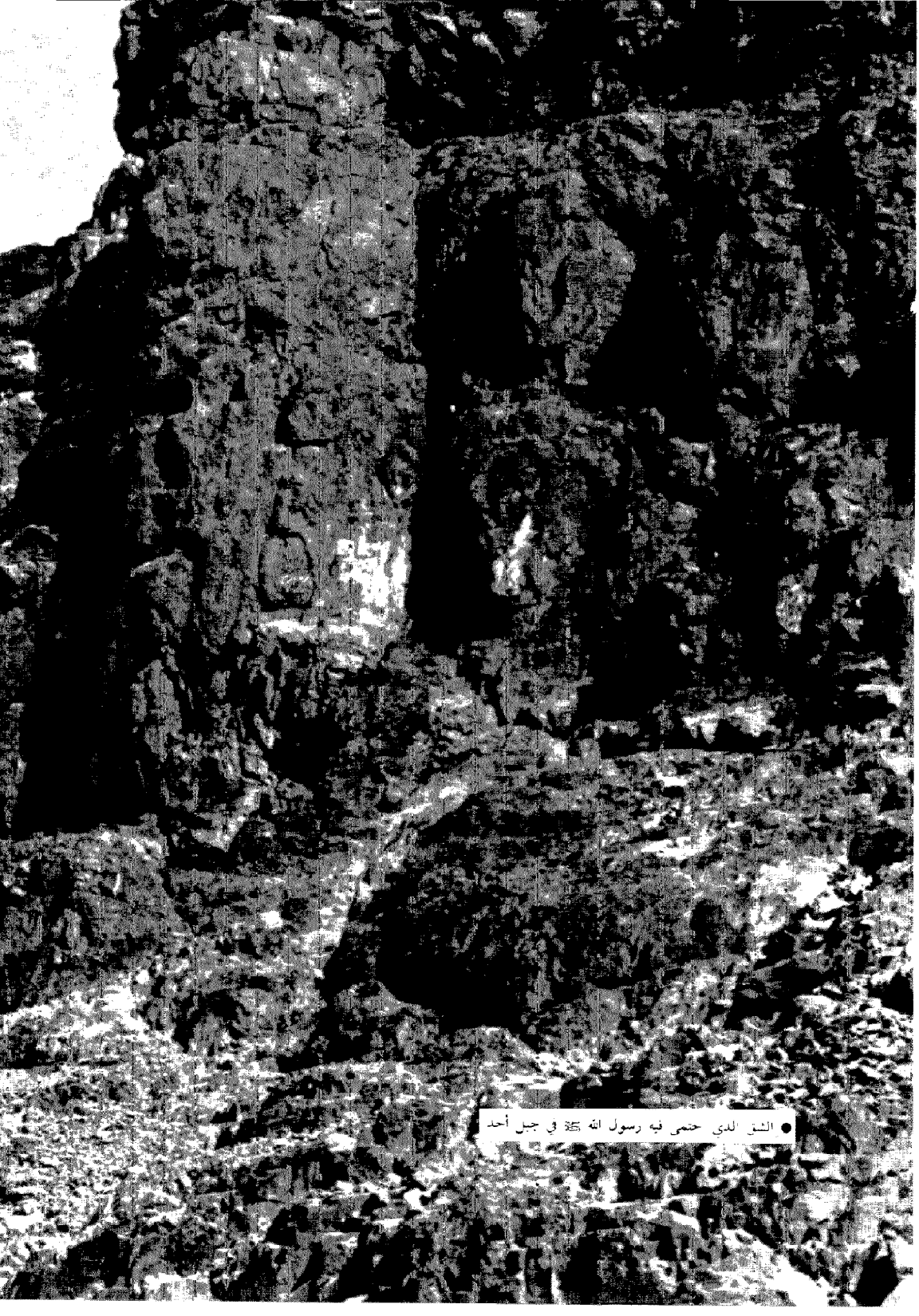

● الشق الذي حتمى فيه رسول الله ﷺ في جبل أحد

* صبر الرسول ﷺ:

في غزوة «أحد» يرمي ﷺ على وجهه، فينكسر أنفه، ورباعيته، ويجرح جرحا عميقا في وجهه الكريم، ويتفجر منه الدم، ويشاع أنه قتل، فيتفرق من حوله المسلمون، وتختلف عليهم الأمور، ويرجع بعضهم المدينة، وتنطلق طائفة منهم إلى الجبل ومع كل ذلك نراه صابرا لم يرتبك، يدير المعركة حتى نهايتها.

ويموت ابنه إبراهيم بين يديه فتدمع عيناه وهو يقول «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، والله أنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون»(١).

ويصبر على الجوع، حتى يشد على بطنه الحجر من شدة الجوع، وكان يصلي جالسا من شدة الجوع، وروي مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد الدقل وما يملأ بطنه» ـ والدقل أراد التمر ـ وعن النعمان أيضا ما يرويه مسلم قوله «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه»(٢).

وصبر على ما لاقى في دعوته من السب والشتيمة والاتهام بالكذب والجنون والسحر، وطرد من الطائف عندما ذهب داعيا لهم وأغروا به

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني ص ج ص (٢٩٢٩).
(٢) مسلم (٢٩٧٨).

سفهاءهم وصبيانهم يضربونه بالحجارة من مكان إلى مكان حتى أدموا قدميه الشريفتين، وبزق بن أبي معيط في وجهه الشريف فلم يزد أن مسح وجهه كل ذلك ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى، ذلك لأن الله أمره بالصبر بقوله: «وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ»[٣].

وقال تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ»[٤] وفي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها»[٥]. قالت فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسوله.

*** أقسام الصبر:**

والصبر يقسمه بعض العلماء إلى ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها، فلا بد من الصبر على الطاعات لأن النفس من طبعها الملل، وهذا لا يتأتى إلا إذا إستحضرنا دائما الهدف الذي خلقنا من أجله وهو «العبادة» واستحضرنا عاقبة الصبر على الطاعات، يقول تعالى واعداً الصابرين بالجنة بسبب صبرهم «وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ»[٦].

ولا بد من الصبر عن المناهي والمخالفات، لأن النفس أمارة بالسوء،

---

(٣) النحل ١٢٧.
(٤) الزمر ١٠.
(٥) مسلم (٩١٨).
(٦) الرعد ٢٤.

نزاعة للشر، ولأن شياطين الانس والجن لاينفكون بتزينهم المنكر لبني آدم. ولابد من الصبر على الأقدار، لأننا عبيد لله، وليس للعبد أن يعترض على ما يقدره سيده، ولأننا لا نعلم الغيب، فربما ما قدره الله من أمر يبدو في ظاهره السوء، يكون خيرا لنا في الدنيا والآخرة، وذلك بقوله تعالى «وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »(٧).

ولا ننسى قصة الخضر مع موسى عليه السلام.

---

(٧) البقرة ٢١٦.

العفو عند المقدرة

الوقفة (١١)

* ملك الجبال:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبديالیل بن عبدكلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرب الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمر لي بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الاخشبين «فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1].

القدرة أو المقدرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

١ـ **قدرة حقيقية**: وهي التي يستطيع صاحبها إنفاذ ما يريد، بسبب تفوق قوته الجسدية أو العقليةأو الاقتصادية أو الاجتماعية على من يريد أخذ حقه منه.

٢ـ **قدرة ظنيـة**: وهي غلبة ظن غير متيقنة عند صاحبها بقدرته على إنفاذ

(١) البخاري ٦/٢٢٤ ومسلم ١٧٩٥

ما يريد، لعدم تأكده من تفوقه على خصمه الذي يريد أخذ الحق منه، فقد يكون متفوقا أو غير ذلك.

٣- قدرة كاذبة: وهي التي يدعي صاحبها أنه قادر على أن يفعل ويفعل ولكنه في حقيقة الأمر أضعف من خصمه الذي يريد أخذ الحق منه. فالفضيلة إنما تكون في القسم الأول، وهو القادر على أخذ حقه بتفوقه على خصمه ومع ذلك يعفو ويصفح مروءة منه، وطلباً للمثوبة. أما في القسم الثاني والثالث فلا يكون للعفو أثر، ولا يدخل في الفضيلة، بسبب ضعف بالقدرة أو مظنة الضعف.

*** قدرة من نوع فريد:**

وقدرة الرسول ﷺ في هذه الحادثة من نوع يختلف تماماً عن الأنواع الثلاثة، ولا هي من النوع الأول، حيث أن الأول، قد يكون بالفعل قادراً بسبب تفوق قوته، ولكن قد يحول حائل بقدرة الله دون إنفاذ ما يريد، ولكن هذا الحائل منتفياً في هذه الحادثة إذ أن مالك الحول والقوة والقدرة هو بذاته سبحانه يسخر له ملك الجبال ويجعله تحت إمرته يأمره بقدر من الله بما يشاء، ومع ذلك يعفو ويصفح مع هذه القدرة النادرة، ويجعل هم الدعوة، وأمل الهداية، أعلى من كل ما توسوس به النفس من حب الانتقام، ورد الاعتبار، ويقول قولته المشهورة «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

والعفو عند رسول الله ﷺ سمة رئيسية فيه فنجده يعفو عندما يقدر على من نوى قتله أمثال عمير بن وهب الجمحي، الذي جاءه إلى المدينة يحمل سيفاً مسموماً يريد قتله ﷺ فيه، ونراه يعفو عن سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال، وهو الذي كان يخطط لقتله، فعندما يقبض عليه، ويربطه إلى سارية المسجد. يعفو عنه. ونراه يعفو عمن قتل حمزة رضي الله عنه، وكان

من أحب الناس إليه، ولا يزيد على أن يقول له «غرب وجهك عني»، ونراه يعفو عمن هجاه من الشعراء عندما قدر عليه، ويعفو عن قومه الذين طردوه وأهانوه، وحاولوا قتله، فعندما قدر عليهم فاتحاً مكة عفا عنهم جميعاً. إن العفو كما هو خلق أصيل فهو فن قل من يجيده من القادرين.

*** ما يريده بعد العفو:**

فهو كما قال عندما جاءه ملك الجبال «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» إنه يوضح هدفه وراء العفو عند المقدرة، وهو رجاء الهداية، وهذا ما تحقق فعلاً مع معظم إذ لم يكن جميع من عفا عنهم، وهو ما يريد أن يؤكده لطلائع الدعاة الذين يأتون من بعده. ومترجماً قوله تعالى «وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»(٢). فهو كان يدفع السيئة بالحسنة فيقلب بذلك الخلق الأعداء إلى أصدقاء شديدي المحبة، وهو ما كان يهدف إليه ﷺ.

*** أثر الآيات القرآنية:**

إن هذا الخلق لم يأت من فراغ، بل جاء عبر تربية مستفيضة ترباها الرسول ﷺ على آي القرآن الكريم، فهو يسمع قول الحق تعالى «خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ»(٣).

ويسمع قوله تعالى «وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ»(٤). وهو يحرص على أن يكون إمام المتقين.

وهو يسمع قول الحق تعالى «وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

---

(٢) فصلت ٣٤، ٣٥.
(٣) الأعراف ١٩٩.
(٤) البقرة ٢٣٧.

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ »(٥).

وقد رباه تعالى على قصص القرآن الكريم التي فيها من معاني العفو الشيء الكثير، وهو يرى من خلالها صور الأنبياء عليهم السلام كيف كانوا يواجهون سفاهة قومهم وأذاهم بالعفو والصفح، فإذا كان يوسف عليه السلام يعفو عن إخوانه بعد أن حقدوا عليه، وتآمروا على إلقائه في الجب، وتسببوا ببيعه عبداً وهو إبن نبي، وتعرض بعد ذلك لمكر النساء، ثم تعرض للسجن، ثم يقول لهم بعد ذلك كله وبعد أن قدر عليهم « لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ »(٦)، فإن الرسول ﷺ يتعلم من هذه الحادثة بأن لا يعفو عن أقاربه فحسب، بل يعفو عن جميع قومه الذين آذوه وطردوه وتآمروا على قتله وأحلوا دمه، يعفو عنهم وهو قادر عليهم يوم الفتح، آملاً أن يكون لهذا العفو الأثر في هدايتهم، وقد كان.

---

(٥) آل عمران ١٣٤.

(٦) يوسف ٩٢.

الوقفة (١٢)

* سيدة نساء العالمين:

تلك هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد أول إنسان آمن بالرسول ﷺ، وسانده، تقول عائشة رضي الله عنها «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها يوماً، فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن! قال: فرأيته غضب غضبا. أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت، قال: «كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني» قالت: «فغدا وراح عليّ بها شهرا»[1]. لقد أحبها كل هذا الحب لأنها وقفت معه وقفة الزوجة التي تقدر ما يقوم به الداعية من مهمة عجزت عنها السموات والأرض والجبال، فلم يسمع منها كلمة عتاب أو لوم أو تضجر، لكثرة غيابه عنها، ولقد جاء في البخاري، أنه عندما جاء جاريا من غار حراء، خائفا بعد رؤيته جبريل عليه السلام بصورته الحقيقية، حتى دخل على خديجة وهو يقول زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع «فقال مالي ياخديجة» وأخبرها الخبر وقال «قد خشيت على نفسي فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق، وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل.... الخ»[1أ].

---

(١) نسبه الحافظ في الاصابة ٢/٢١٧ إلى كتاب «الذرية الطاهرة» للدولابي، وحسنه الأرناؤوط ـ سير الأعلام ٢/١١٢.

(١أ) البخاري ٨/٥٤٩.

وبسبب هذا الوقوف والمعاضدة أرسل الله جبريل عليه السلام ليبلغها السلام، فمما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: هذه خديجة أتتك معها إناء فيه إدام أوطعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»(١ب)، وهذه منزلة لم ينلها أحد بعدها، وهذا نموذج فريد من زوجات الدعاة اللاتي يقدرن ما يقوم به أزواجهن من واجب في تبليغ دعوة الله تعالى، فيهيئن الجو المناسب له لإكمال المسير.

*** زوجــة الداعية:**

الـداعية إلى الله ليس كباقي الرجال الذين هم بعيدون عن أعباء الدعوة. ومن الصعب أن يكون مثلهم في كل شيء، إنه صاحب هم ورسالة، هم على ضياع أمته، وإنتشار الفساد، وزيادة شوكة أهله، وهم لما يصيب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من مؤامرات وظلم وجوع وإذلال، وما يصيب الدعاة منهم من تشريد وتضييق وتنكيل، وبعد ذلك هو صاحب رسالة واجب عليه تبليغها للآخرين، حيث أن هذا الوجوب على الجميع، ولكن الذي فرق بينه وبين الآخرين أنه هو الذي بادر من بينهم لحمل هذه الأمانة، وقبل أن يتحمل تبعاتها ومشاقها، ولا شك أن واجب الدعوة إلى الله يتطلب وقتاً طويلاً قد يأخذ عليه أوقات نومه وراحته، وأوقات زوجته وأبنائه، ويتطلب تضحية بالمال والوقت والدنيا بأسرها، ما دام ذلك في سبيل مرضاة الله سبحانه وتعالى. ورجل مثل هذا لا تصلح له أي زوجة، وإن أوتيت من الأخلاق والتقوى والجمال والحسب ما أوتيت، إنه يحتاج إلى زوجة تدرك واجب الدعوة، وأهميته، وتدرك تماماً ما يقوم به الزوج، وما يتحمله من أعباء، وما يعانيه من

(١ب) البخاري ١٠٥/٧ ومسلم (٢٤٣٢).

مشاق، فتقف إلى جانبه تيسر له مهمته وتعينه فيها، لا أن تقف عائقاً وشوكة في طريقه.

* **زوجات الصحابة:**

ويبدو واضحاً من السيرة أن جميع الأوصاف التي يريدها الداعية إلى الله في المرأة قد تجسدت في زوجات الصحابة رضي الله عنهم، ومع ذلك فالواحدة منهن تحسن تبعلها لزوجها، أي أنها لاتؤذيه في قول أو فعل، فلا تضايقه بكثرة السؤال عن تأخره بليل أو نهار، ولا تلح عليه بأن يخرجها للتنزه، أو السفر للخارج، ولا تعيره بالرجال الآخرين الذين لا يرتبطون بالدعوة. فتقول له «أنظر إلى فلان ماذا يفعل لزوجته. وفلان ماذا يعطى زوجته، وفلان ماذا يشترى لزوجته. . . . . الخ».

ومع تقصيره في حقوقها، وتأخره عن المنزل، وإنشغاله حتى عن نفسه في أمور الدعوة، تراها دائمةالابتسامه «إذا نظر إليها أسرته. . . الحديث» لا تغضب، لأنها لا تحصل على ما تحصل عليه، الأخريات، بل ترضى وتفرح لشرف انشغال زوجها بما يحب الله، واختيار الدار الآخرة على الدار الفانية، فهي مستيقنة أن زوجها لا يوجد من هو أحسن قولاً منه عند الله، لقوله تعالى «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ»[٢]. بل إن بعض زوجات الصحابة رضي الله عنهن، كن يشاركن أزواجهن الجهاد، وبعضهن كن يتمنين الموت في سبيله، وكن يغبطن الرجال على الجهاد في سبيل الله، وذلك واضح في «سيرتهن»، وكن يطردن أزواجهن إذا فروا من الزحف، ويغلقن في وجوههم الأبواب.

---

(٢) فصلت ٣٣.

* أم سلمـــة:

ونترك الصحابية الجليلة أم المؤمنين (أم سلمة) تتحدث عن نفسها وتقول «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة، رحَّل لي بعيره ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة، قاموا إليه، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبدالأسد، رهط أبي سلمة، وقالوا والله لانترك إبننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا إبني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبدالأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بيني وبين إبني، وبين زوجي. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها ـ حتى مر بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها، وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي إلحقي بزوجك إن شئت»[٣].

* أم سليـم:

جاء في ترجمة «الرميصاء بنت ملحان»، أم أنس بن مالك رضي الله عنها، والتي كانت تكنى (بأم سليم) عن أنس ولدها قال: «ثقل إبن لأم سليم، فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فتوفي الغلام، فهيأت أم سليم أمره، وقالت: لا تخبرونه. فرجع، وقد سيرت له عشاءه، فتعشى، ثم أصاب من أهله. فلما كان من آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل أبي فلان

(٣) البداية والنهاية ٣/١٧٠.

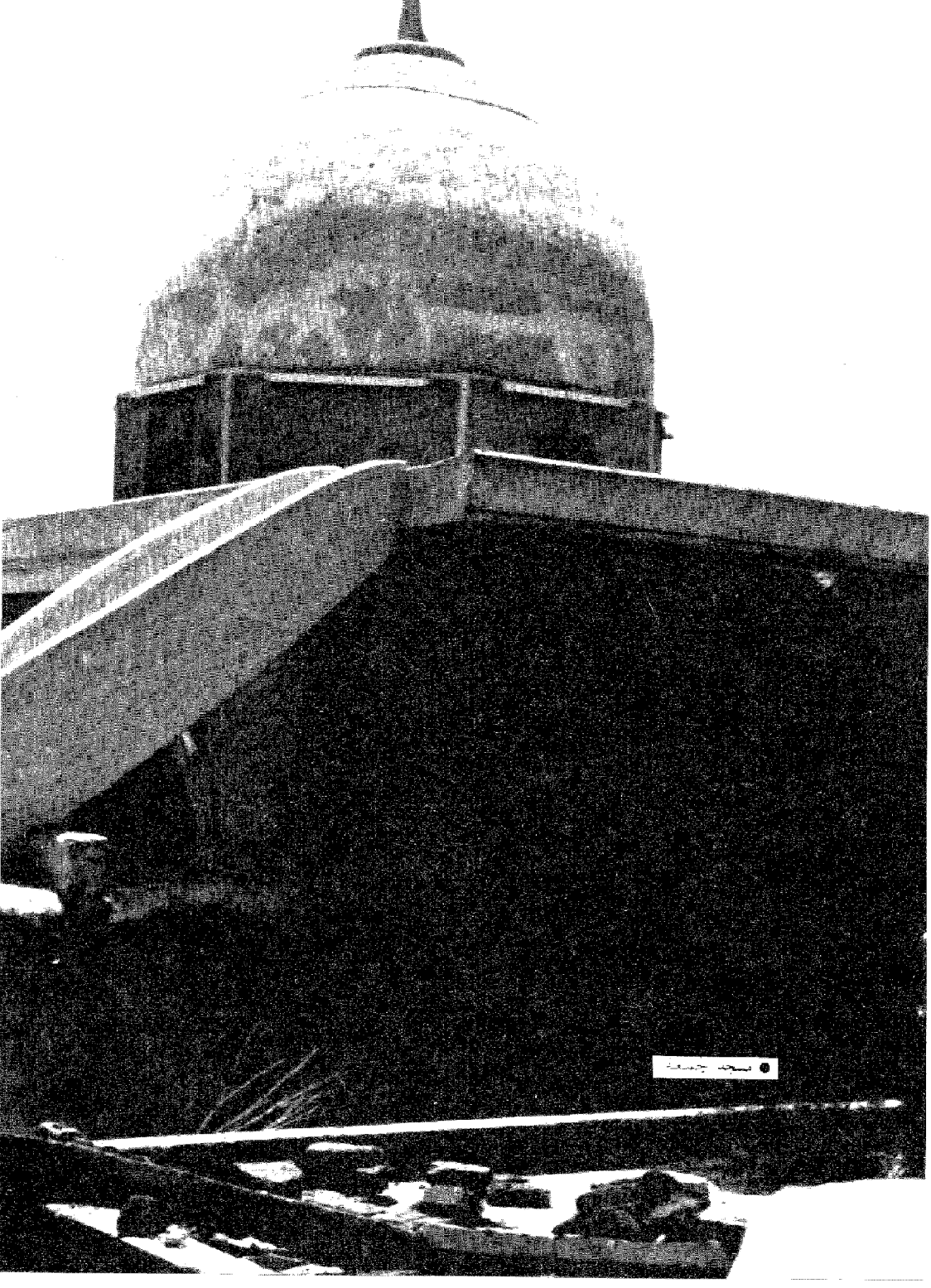

استعاروا عارية، فمنعوها، وطلبت منهم، فشق عليهم. فقال: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، فقبضه. فاسترجع، وحمد الله. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: أعرستم الليلة؟ قال: نعم. قال: اللهم بارك لهما في ليلتهما، فولدت غلاما»[٤] وهي التي قال فيها الرسول ﷺ «دخلت الجنة، فسمعت حشفة بين يدي، فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان»[٥] أي ثبات ورباطة جأش تملكها هذه الزوجة المجاهدة، إنها تصبر، بل وتربي زوجها على الصبر بأسلوب ينبع من فهم عميق لهذه العقيدة، ولا عجب بعد ذلك أن تكون من أهل الجنة.

*** معاذة العدوية:**

زوجة صلة بن أشيم السيد الكبير الذي مات شهيدا قبل شيخه ابن عباس كما أورد الامام الذهبي ترجمته في سير أعلام النبلاء[٦]، وكانت من العابدات الزاهدات فعن (ثابت البناني أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له فقال أي بني، تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل فقاتل حتى قتل رحمه الله، ثم تقدم فقتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية، فقالت: مرحبا إن كنتن جئتن لتهنيني فمرحبا، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن»[٧] إنها لا تلطم، ولا تشق الجيوب، ولا تجزع، إنما تفرح وتريد من النساء أن يهنئنها على شهادة زوجها، ياالهن من نساء، بمثلهن تنجح الدعوة، ويزداد إنطلاق الدعاة.

---

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٩/٩ ورواه مسلم (٢١٤٤)، وفي سير أعلام النبلاء ٣١٠/٢.
(٥) مسلم (٢٤٥٦) والبخاري ٣٤/٧.
(٦) سير أعلام النبلاء ٣٣٣/٤ و ٥٠٩ والبداية والنهاية ١٥/٩.
(٧) الزهد الأحمد ٢٠٨.

* نماذج من محنة الإخوات:

ولنا في تاريخنا المعاصر، نماذج كثيرة ذكرتنا بخديجة، وعائشة، وأم سليم، ومعاذة رضي الله عنهن جميعا، وزادتنا يقينا إلى يقيننا بأن هذا الدين الذي أخرج تلك النماذج الفريدة قادر دائما على إخراج مثلهن، في كل جيل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي محنة الأخوان في مصر ظهرت كثير من النماذج النسائية، التي ضربت أروع الأمثلة في الثبات، والصبر، والرضى، والاخلاص للزوج والوفاء له، فحينما دخل الاخوان السجون، كتب الكثير منهم إلى زوجاتهم يخيرهن بين البقاء كزوجة، وبين أن تطلب الخلع فهو من حقوقها، سيما وقد حكم على الكثير منهم بالمؤبد. وظهرت هنا المواقف النادرة للكثيرات منهن. ومن هذه المواقف، أن إحداهن «أرسلت إليه عاتبة: أهكذا هانت عليك تلك العشرة الطيبة، والتي وثقتها أخوة في الله خالصة، جمعت بيني وبينك، أتضن عليّ أن أشاركك بعض أجرك حين يثقل الله ميزان حسناتك؟ قد أقسمت ألا يفرق بيننا إلا الموت. وظلت تلك المؤمنة على عهد الله وميثاقه. وخرج إليها زوجها بعد عشرين عاما ليجد البيت الآمن، والأبناء وقد تخرجوا والأبنة قد أوشكت على الزواج، ووجد كل شيء في مكانه، ليعاودا معا على الطريق حياتهما في طاعة الله»[٨].

* أمينة قطب:

ومن الأسر التي ابتليت في محنة الاخوان (أسرة قطب، ولقد وقفت أمينة قطب أخت سيد رحمه الله موقف زوجة الداعية التي تتجلى فيها صفات المجاهدة التي تعين زوجها المجاهد في طريقه إلى الله)[٩].

---

(٨) الأخوات المسلمات ٤٩٤، ٤٩٥.

(٩) نسأل الله لنا ولها الثبات.

فعندما أودع السجن زوجها الفاضل كمال السنانيري رحمه الله، قال لها بعد أن زارته في السجن «لقد طال الأمد، وأنا مشفق عليكم من هذا العناء، ومثل ما قلت لك في بدء ارتباطنا قد أخرج غدا وقد أقضي العشرين سنة الباقية، وقد ينقضي الأجل وأنا هنا. فلك الآن مطلق الحرية في أن تتخذي ما ترينه صالحا في أمر مستقبلك، ولا أريد، ولا أرتضي لنفسي أن أكون عقبة في طريق سعادتك.

إنهم يفاوضوننا في تأييد الطاغية ثمنا للافراج عنا، ولن ينالوا مني بإذن الله مايريدون حتى ولو مزقوني إربا، فلك الخيار من الآن. واكتبي لي ما يستقر رأيك عليه، والله يوفقك لما فيه الخير»[١٠].

تقول الأخت الفاضلة أمينة قطب «ولم يمهلني انقضاء وقت الزيارة من الرد على كلماته التي آلمتني، بغير كلمات قليلة متقطعة. وعندما عدت إلى البيت وبدأت في كتابة رسالة إليه أعتب عليه ذلك الحديث وذلك التفكير في أمر فك ارتباطنا، الذي أشهدت الله على المضي فيه. . . .» وظلت وفية، صابرة حتى أفرج الله عنه، وتجمع الشمل، ثم أدخل السجن مرة ثانية، واستمرت في ثباتها على المحنة، ورضاها بما قدر الله، حتى قتلوه في السجن. وقالو «انه انتحر». وتقول الأخت أمينة فيه «حاول زبانية الحاكم أن يأخذوا من فم المعذبين كلمات التسليم والرضاء بالذل، فأبى المجاهد الذي استغرق الجهاد في سبيل الله حياته وعمره. أبى أن يطأطيء رأسه للظلم، أو يعطي كلمة استسلام. فكان استشهاده انتصارا له، من باطل يملأ وجه الأرض، ومنارا على طريق السالكين للحق الكبير»[١١]. وقالت ترثيه بقصائد كثيرة منها قصيدة ـ رسالة إلى شهيد ـ

---

(١٠) رسائل إلى شهيد ١٠، ١١.

(١١) رسائل إلى شهيد ص ١٣.

تقول في مطلعها:

«ما عدت أنتظر الرجوع ولا مواعيد المساء
ما عدت أحفل بالقطار يعود موفور الرجاء
ثم تقول:- وتركتني أمضي مع الأيام في صمت الشقاء
أتراه ذاك الشوق للجنات؟ أو حب السماء؟
أتراه ذاك الوعد لله؟ وهل حان الوفاء؟!
فمضيت كالمشتاق، كالولهان، حبا للنداء؟!
وهل التقيت هناك بالأحباب؟ مالون اللقاء؟
في حضرة الديان! في الفردوس، في فيض العطاء؟!
وبدار حق قد تجمعتم بأمن واحتماء؟
إن كان ذاك فمرحبا بالموت، مرحى بالدماء؟
فلسوف ألقاكم هناك وتختفي دار الشقاء.
ولسوف ألقاكم أجل، وعد يصدقه الوفاء.
ونثاب أياما قضيناها عناءً وإبتلاء.
وسنحتمي بالخلد لا نخشى فراقاً أو فناء.»[١٢]

*** نموذج من أفغانستان:**

في مقابلة أجراها السيد غالب الشاويش في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، بعد زيارة له مدينة (نورستان في محافظة (كنر) مع أحد قادة الجهاد هناك، فكان مما سأله.

«سؤال: هل يجد المجاهد مضايقة من زوجته وأولاده بسبب طول غيبته وصعوبة المعيشة؟

---

(١٢) رسائل إلى شهيد ص ١٧، ١٨، ١٩.

جواب ـ المرأة الأفغانية هي التي تدفع زوجها للجهاد، والذي يرتدد تطلب منه زوجته أن تذهب لخدمة المجاهدين، وأن يبقى هو حارسا عند الأطفال والأمتعة، ليقوم بالاشراف عن شؤون البيت.

وأبشركم أن الفتاة الأفغانية تعرض نفسها للزواج من المجاهدين ومهرها يشترى بها أسلحة للمجاهدين»[١٣].

* نموذج من اليمن:

ذكرني هذا الموقف، بما حدثني به أحد الأخوة المجاهدين من اليمن أبان حرب الجبهة الشيوعية مع أبناء الحركة الاسلامية، يقول: «كان النساء في إحدى القرى التي دار فيها القتال، إذا استشهد زوج إحداهن، يجتمعن في مجلس نساء، وترتجل زوجة الشهيد أبياتا من الشعر تذكر فيها مآثر زوجها وبطولاته، ثم تعرض في النهاية بالنساء اللاتي لم يمت لهن أحد وبعد إنفضاض المجلس تذهب النساء اللواتي لم يمت لهن أحد وهن متحسرات إلى أزواجهن ويلمنهم بعدم الذهاب للجهاد، وتستحثهم للجهاد، حتى ينالوا شرف الشهادة» إن جو الجهاد، والتحدى، والثبات والاعتزاز بالمبدأ من شأنه أن يوجد مثل هذه النساء، ليعدن أمجاد هذه الأمة بما يتحلين به من صفات خديجة، وعائشة، وحفصة، وأم سليم، وأم شريك، وزنيرة، وغيرهن من النساء الطاهرات رضي الله عنهن جميعاً.

---

(١٣) نشرة تحت عنوان «ما يقوله الافغانيون إلى المسلمين بكل صراحة».

الوقفة (١٣)

الوسيلة هي وسيلة مادية أو معنوية، يستعين بها الداعية لايصال مفهوم ما إلى المدعو تكون أكثر تأثيرا بالمدعو من الكلمة المجردة، وتنقسم وسائل الايضاح عند الرسول ﷺ إلى ثلاث.

أ ـ وسائل إيضاح بعيدة.

ب ـ وسائل إيضاح قريبة.

جـ ـ استغلال الظواهر الطبيعية وبعض أعمال الصحابة كوسائل إيضاح..

أولا: وسائل الإيضاح البعيدة:

وهي الوسائل التي يستخدمها رسول الله ﷺ وتكون مرئية ولكنها بعيدة عنه كالشمس والقمر والنهر والشجر وغيرها.. ومن أمثلتها..

١ـ التربية على الحرص على الصوات الخمس:

قول رسول الله ﷺ (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لايبقى من درنه شيئا. قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا)[١].

قال ابن حجر (وفائدة التمثيل التأكيد، وجعل المعقول كالمحسوس) وقال ابن العربي (وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب)[٢].

---

(١) فتح الباري ٥٢٨ ـ عن أبي هريرة ـ السفلية.

(٢) فتح الباري ٥٢٨ ـ عن أبي هريرة ـ السلفية.

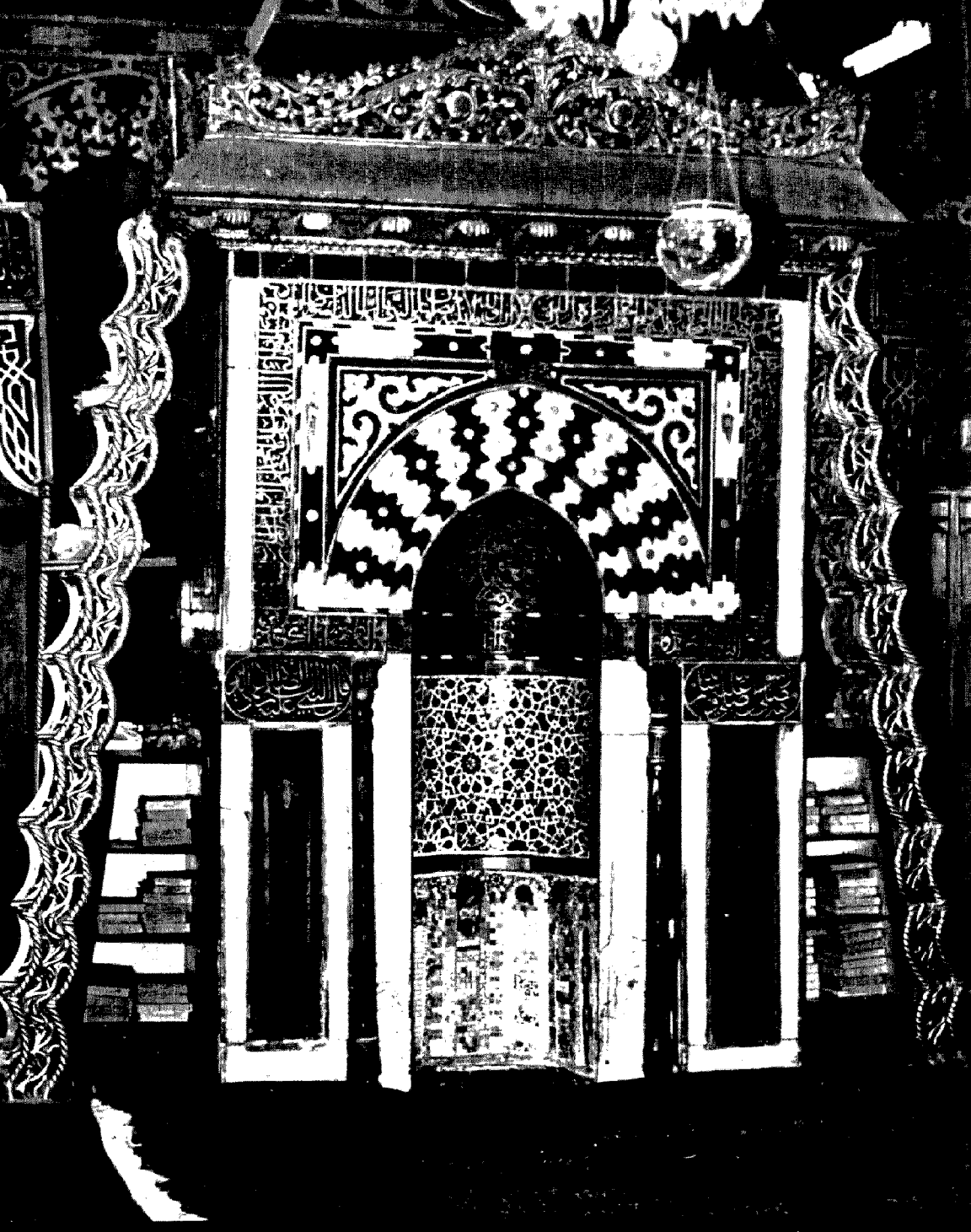

مصلّی رسول اللہ صلّی اللہ علیہ وسلّم المدینۃ المنورۃ

جائے نماز رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم مدینہ منورہ

The place of prayer of the Prophet of Islam in Medina

٢ـ التربية على حسن أداء الصلاة:

وقول الرسول ﷺ (اعتدلوا في السجود، ولا يبسط ذراعيه كالكلب وإذا بزق فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه فإنما يناجي ربه)[٣].

٣ـ التربية على النوافل:

عن جرير قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة ـ يعني البدر ـ فقال: **(إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا)**. ثم قرأ **(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)**[٤].

وقوله ﷺ (مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكر ربه مثل الحي والميت)[٥].

قال ابن حجر ـ موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت[٦].

قول الرسول ﷺ (والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار)[٧].

إن المسلم ليتصدق بما يستطيع عند سماعه هذا الحديث فكيف بالصحابي عندما يسمع مثل هذا الحديث من الرسول ﷺ. إنه ما أن يشعر بهاجس إثم وليس الاثم يتصدق بما يملك من أجل أن يطفيء ذلك الهاجس. وهذا يجعلنا لا نستغرب أبدا ما روى عن أبي بكر أنه أنفق في غزوة العسرة كل ما يملك ـ هذا طرف في تأثير وسيلة الايضاح في التربية.

---

(٣) فتح الباري ٥٣٢ ـ عن أنس.
(٤) فتح الباري ٥٥٤.
(٥) فتح الباري ٦٤٠٧ ـ عن أبي موسى.
(٦) فتح الباري ج ١١ ص ٢١١.
(٧) طرف من حديث رواه الترمذي (٢٧٤٩) وصححه الألباني (ص ج ص ٥٠١٢) عن معاذ بن جبل.

٤ـ الترهيب من الغيبة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد تعني قصيرة، فقال (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)[٨] وهو أسلوب تربوي فريد، تضخيم الذنب حتى لو كان صغيرا ليبتعد المذنب عما هو أكبر منه.

٥ـ التربية على الزهـــد:

وعن مستورد قال: قال رسول الله ﷺ (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع)[٩] هكذا يصور الرسول ﷺ الدنيا ـ بما يرجعه الاصبع إذا وضعه باليم ـ قطرة أو قطرات وحتى هذه القطرات تعود ثانية إلى اليم فلا يبقى شيء بالاصبع.

عن مسهر بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)[١٠] ولعل البعض يتصور الدنيا بملذاتها ومغرياتها كبيرة وخالدة فيأتي قول الرسول ﷺ ليجمعها فتصغر هذه الصورة في خيال ذلك الهائم في خضم هذه الدنيا، وتصغر حتى تكون كجناح بعوضة وعندما يصل به الخيال والمقدرة على تصور الدنيا بهذا الحجم يقول له الرسول ﷺ أنها لا تعدل عند الله حتى ذلك الحجم.

٦ـ حرمة المسلم حياً وميتاً:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر)[١١] إن مجرد رؤية القبور وتذكر تصوير الرسول بهذا الحديث يجعل المسلم

---

(٨) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥) وصححه الأرناؤوط (الرياض ١٥٢٣).
(٩) مسلم (٢٨٥٨).
(١٠) أخرجه الترمذي (٢٢٢١) وصححه الألباني (ص ج ص ٥١٦٨٠).
(١١) مسلم (٩٧١).

يخطو بعيدا عن القبور لئلا يقع في إطار هذه الصورة المرعبة.

٧ـ التربية على المبادرة بالأعمال:

عن مرداس الأسلمي قال: قال النبي ﷺ: (يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة)(١٢).

قال الداودي: الحثالة ما يسقط من الشعير عند الغربلة ويبقى من التمر بعد الأكل...

وقال الخطابي: ألا يباليهم الله بالة، أي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا(١٣).

٨ـ التربية على الحياء:

قال رسول الله ﷺ (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له)(١٤) والمخيط هو ما يخيط به كالابرة والمسلة ونحوها. كيف يجرء رجل على أن يصافح إمرأة وهو يتخيل هذا التشبيه؟!.

٩ـ الاهتمام بالوقت:

قال رسول الله ﷺ: (من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه)(١٥).

قال القرطبي (قوله فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه) هذا كناية عن تذكيته، وتذكيته حرام فالحديث دل على تحريم اللعب. وقال القاضي عياض معنى صبغ يده في لحم خنزير ودمه أي في حال أكله منه فقد شبه اللعب في تحريمه بتحريم أكله(١٦).

---

(١٢) فتح الباري ٦٤٣٤.
(١٣) فتح الباري ج ٢٥٢/١١.
(١٤) الطبراني في الكبير عن معقل بن يسار، وصححه الألباني (ص ج ٤٩٢١).
(١٥) مسلم (٢٢٦٠) بريدة.
(١٦) مكمل إكمال الكمال ـ شرح مسلم ـ ٦٧/٦.

١٠ـ البشارة للمؤمـــن:

وفي وصفه خروج روح المؤمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء) وقال في صفة خروج روح الكافر (فتفرق في جسده فينتزعها كما يتنزع السفود من الصوف المبلول)[١٧]. وبهذا فهو يصور للسامع شدة المعاناة والآلام التي يتعرض لها الكافر حين خروج الروح، بينما تقل هذه الآلام لحظة الوفاة عند المؤمن، للتيسير في نزع روحه، وكأنها تخرج بنعومة ويسر كما تسيل قطرة الماء الصافية الشفافة، من في السقاء.

١١ـ التخويف من الفتن:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً)[١٨].

قال الامام محمد السنوسي (المعنى كما ينسج الحصير عودا عودا لأن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا أخذ آخر ونسجه فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدا بعد واحد)[١٩].

١٢ـ التربية على الرجـــاء:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى اخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها وقد اسودوا فيلقون في نهر الحيا ـ أو

---

(١٧) أخرجه أبو داود (٢/٢٨١) وأحمد ٤/٢٨٧ وصححه الألباني (أحكام الجنائز ص ١٥٦).
(١٨) مسلم (١٤٤).
(١٩) مكمل إكمال الكمال ١/٢٥١.

الحياة ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية؟)[٢٠].

١٣ـ التربية على الـورع:

(عن عامر قال سمعت النعمان بن البشير يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول (الحلال بين، والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن إتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[٢١].

يقول ابن حجر ـ وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة: وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم، فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره. وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد الفاذة فتقع فيه بغير اختياره، أو يمحل المكان الذي هو فيه ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه، فالله سبحانه وتعالى هو الملك حقا وحماه محارمه[٢٢].

١٤ـ التربية على التأمل والمقارنة:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ (إن في الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي،

---

(٢٠) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ١١٦).
(٢١) الفتح الباري ٥٢.
(٢٢) فتح الباري جـ ١ ص ١٢٨٠.

قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت ثم قالوا: حدثنا يا رسول الله. قال هي النخلة)[٢٣] قال ابن حجر ـ ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الافهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة[٢٤].

١٥ـ الترغيب في الجليس الصالح:

قال رسول الله ﷺ: مثل الجليس الصالح كمثل العطار، إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه[٢٥].

١٦ـ التربية على القـدوة:

قال رسول الله ﷺ: مثل العالم الذي يعلم الناس الخير، وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه[٢٦].

١٧ـ التربية على الخـوف:

قال رسول الله ﷺ: مثل القلب مثل الريشة، تقلبها الرياح بفلاة[٢٧].

١٨ـ التربية على الزهد بالمال:

قال رسول الله ﷺ مثل الذي يتصدق، ثم يرجع في صدقته، كمثل الكلب يقيء، ثم يعود في قيئه، فيأكله[٢٨]. ما أبشعه من تصوير يجعل المرء لايفكر إطلاقاً بالمن.

١٩ـ التربية على الصبـر:

قال رسول الله ﷺ مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح، تفيؤه ولا

---

(٢٣) فتح الباري ٦١.
(٢٤) فتح الباري جـ ١ ص ١٤٧٠.
(٢٥) د.ك. عن أنس صححه الألباني (ص ج ص ٥٧٠٤).
(٢٦) طب عن ضرب وصححه الألباني (ص ج ص ٥٧٠٧).
(٢٧) عن أبي موسى صححه الألباني (ص ج ص ٥٧٠٩).
(٢٨) الترمذي عن أنس صححه الألباني (ص ج ص ٥٧١).

يزال المؤمن يصيبه بلاء. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لايهتز حتى يستحصد(٢٩).

٢٠ـ التربية على الصفات الايمانية:

قال رسول الله ﷺ مثل المؤمن مثل النحلة، إن أكلت أكلت طيبا، وإن وقعت على عود فخر، لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب، إن نفخت عليها أحمرت، وإن وزنت لم تنقص(٣٠).

٢١ـ التخويف من الفتن:

قال رسول الله ﷺ مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي(٣١).

ثانيا: وسائل الإيضاح القريبة:

وهي التي يستخدمها رسول الله ﷺ عن قرب من الصحابة إما بلمسها أو بتوضيحها بالرسم ـ ومن أمثلتها:ـ

١ـ التربية على الزهد بالدنيا:

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق، داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال (أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء. وما نصنع به؟ قال: (أتحبون أنه لكم؟) قالوا: والله! لو كان حيا،

---

(٢٩) أحمد والترمذي عن أبي هريرة صححه الألباني (ص ج ص ٥٧١٢).
(٣٠) هب ـ عن ابن عمر ـ حسنه (ص ج ص ٥٧٢٢).
(٣١) أحمد وصححه الألباني (ص ج ص ٥٧٣٥).

كان عيبا فيه! لأنه أسك. فكيف وهو ميت؟ فقال: (فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم)[٣٢]

٢- التربية على اليقظة الدائمة:

عن أنس قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطا فقال: (هذا الإنسان وهذا أجله، فبينما هو كذلك جاء الخط الأقرب)[٣٣].

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال (هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا)[٣٤].

٣- التربية على التواضع:

عن بسر بن جحاش القرشي، قال: بزق النبي صلى الله عليه وسلم في كفه، ثم وضع إصبعه السبابة وقال؛ (يقول الله عز وجل: أني تعجزني ابن آدم! وقد خلقتك من مثل هذه، فاذا بلغت نفسك هذه «وأشار إلى حلقه» قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة)[٣٥].

٤- التربية على الطهارة الباطنية والخارجية:

عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[٣٦].

---

(٣٢) مسلم ٢٩٥٧.
(٣٣) البخاري - فتح الباري ٦٤١٨.
(٣٤) البخاري - فتح الباري ٦٤١٧.
(٣٥) أخرجه ابن ماجه (٢٧٠٧) قال البوصيري إسناده صحيح وصححه الألباني (ص ج ص ٨٠٠٠).
(٣٦) البخاري - فتح الباري ٢١٨.

وفيه أيضا استغلال الفرص، وملائمة الموعظة للمكان.

٥ـ الثناء على صفات المؤمن:

عن ابن عمر قال: كنا عند النبي ﷺ فأتى بجمار، فقال: (إن في الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم، فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال النبي ﷺ: (هي النخلة)[٣٧].

وهنا يرتقي الإحساس بالموعظة منزلة كبيرة بسبب اشتراك الحواس الثلاث معا. فهم ينظرون إلى الجمار، يأكلون منه، ويمسونه... ويسمعون.

ثالثا: استغلال الظواهر الطبيعية وبعض أعمال الصحابة كوسائل إيضاح:

١ـ التربية على الاحتساب:

فيصدم إصبعه فيخرج منها دم، فينتهز هذه الفرصة فيستغلها أحسن استغلال، ويربي صحابته على أنه غير مكترث مادام في سبيل الله ـ فيقول (هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت)[٣٨].

٢ـ التربية على الاهتمام بحلقات الذكر:

عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد. قال فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه)[٣٩].

---

(٣٧) البخاري ـ فتح الباري ٧٢.
(٣٨) أخرجه أحمد عن جندب البجلي ـ وصححه الألباني (ص ج ص ٦٩٠٠).
(٣٩) البخاري ـ فتح الباري ٦٦.

٣ـ التربية على الرفق:

قال أبو هريرة ـ قام إعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ دعوه وهريقوا على بوله سجلا من الماء أو ذنوبا من الماء ـ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسـرين)[٤٠].

قال ابن حجر (وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى إستئلافه)[٤١].

٤ـ التربية على الإخلاص:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أسود ـ أو امرأة سوداء ـ كان يقيم في المسجد، فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا مات قال أفلا كنتم أذنتموني به، دلوني على قبره، أو قال قبرها، فأتى قبره فصلى عليه)[٤٢]. وكان الصحابة رضوان الله عليهم قد حقروا من شأنها فلم يصلوا عليها فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعلمهم الإخلاص بالعمل يكون متساوياً مع الصغير والكبير والفقير والغني وفي السر والعلانية.

٥ـ التربية على العـزة:

عن حكيم بن حزام قال: سألت رسـول الله ﷺ فأعطاني وسألته فأعطاني، ثم قال يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا)[٤٣].

---

(٤٠) البخاري ـ فتح الباري ٢٢٠.
(٤١) البخاري ـ فتح الباري جـ ١ ص ٣٢٥.
(٤٢) البخاري ـ فتح الباري ٤٥٨.
(٤٣) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ٦١٤).

٦ـ التربية على ترك العصبية:

قال أبو ذر ـ سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ (ياأبا ذر أعيرته بأمة؟ إنك إمرؤ فيك جاهلية)(٤٤).

أمثلة من تأثير الوسائل على الصحابة:

١ـ حديث حكيم بن حزام الذي تقدم، عندما قال له رسول الله ﷺ (اليد العليا خير من اليد السفلى).

فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه ثم إن عمر رضي الله عنه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا، فقال عمر رضي الله عنه: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، إني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه ـ فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفى(٤٥).

٢ـ عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل، فنزعه وطرحه، وقال: أيعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده؟ فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا آخذه أبدا، وقد طرحه رسول الله ﷺ(٤٦).

---

(٤٤) البخاري ـ فتح الباري ٢٠.

(٤٥) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ٦١٤).

(٤٦) مسلم ٢٠٩٠.

الوقفة (١٤)

* بيعة الأنصار:

عن أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»(١).

فأول بند في بيعة الأنصار للنبي ﷺ كان يتحدث عن السمع والطاعة. ويصف هذه الطاعة بصفات محددة لا تتجلى الطاعة إلا فيها، فالدعوة تحتاج من جنودها طاعة لاتمتزج فيها الأهواء، ولا تؤثر فيها الأمزجة، ولا تغيرها حالات العسر واليسر التي يمر بها الداعية كأي إنسان يعيش على هذه الأرض، طاعة مطلقة مادامت في طاعة الله، حتى وإن كانت تلك الأوامر مما تكره النفوس، أو هي معاكسة للآراء والأهواء (في المنشط والمكره)، فالمنشط واليسر لا يدلان أبداً على درجة طاعة الدعاة، لأن الطاعة آنذاك سهلة على النفوس، إنما تبرز الطاعة الحقة لمتطلبات الدعوة، حينما تكون في العسر والمكره. على مثل هذا اللون من الطاعة بايع الرعيل الأول من الأنصار رسول الله ﷺ.

* سعد يتذكر البيعة:

وفي اللحظات الحرجة التي مر بها الرسول ﷺ قبيل معركة بدر، وهو

(١) البخاري ١٣/٥ ومسلم ١٧٠٩.

يعلم أن قريشاً يعدون له العدة لملاقاته في أول معركة بين الحق والباطل وهو لايملك إلا نفسه والمهاجرين، فكان يردد «أشيروا عليّ أيها الناس» وكان الذي يرد عليه أصحابه من المهاجرين، فكلما انتهى أحدهم من بيان الاستعداد لخوض المعركة، كرر نفس السؤال «أشيروا عليّ أيها الناس». هنا تنبه أحد قادة الأنصار الصحابي الجليل الذي اهتز له العرش عند موته «سعد بن معاذ» وقال له «والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟ قال: أجل قال: فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد»(٢).

وقول سعد رضي الله عنه «والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟» ينبيء بأن سعدا لم يظن أن الرسول ﷺ كان يريد جواب الأنصار على سؤاله المتكرر، لأن نصوص البيعة لا تلزم الأنصار بالحرب مع الرسول ﷺ، وحمايته خارج المدينة، بل أنه اعتقد بأن أجوبة المهاجرين المتكررة كانت تمثل الجميع بما فيهم الأنصار، فلا داعي لسماع أجوبة الطرفين، ماداموا جميعا يمثلون «كتلة المؤمنين».

وفهم منذ البيعة الأولى التي تحدث عنها عبادة بن الصامت، بأنها تقتضي بأن يبيعوا بذلك الأموال والأنفس في سبيل الله، لا يخافون بالله لومة لائم، وأنهم يخوضون غمرات الموت في سبيل ذلك، ولا أدل على ذلك من قوله «فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل وا حد» ومن المعروف أن الصحابة كان معظمهم لايعرف السباحة، ولكنها الطاعة التي فهموها منذ اللحظات الأولى من البيعة.

---

(٢) البداية والنهاية ٣/٢٦٢.

* دقة الجندية الاسلامية:

«قال جندب بن مكيث الجهيني: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الكلبي إلى بني الملوح لكديد، وأمره أن يغير عليهم، وكنت في سريته... فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر، فانبطحت عليه، وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحا على التل، فقال لامرأته: إني لأرى سوادا على هذا التل ما رأيته في أول النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك؟ فنظرت فقالت: والله ما أفقد منها شيئا، قال: فناوليني قوسي وسهمين من نبلي، فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جبيني فنزعته فوضعته، ولم أتحرك، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك، فقال لامرأته أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ريبة لتحرك، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لا تمضغهما عليّ الكلاب. قال: فأمهلنا حتى إذا راحت روايحهم، وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا، وذهبت عتمة من الليل شننا عليهم الغارة، فقتلنا واستقنا النعم»[٣].

إنها مثال الدقة بالطاعة، والتحمل من أجل تنفيذ أوامر القيادة، فلو تحرك ربما فسد كل شيء.

* وفي غزوة الخندق بعث الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان ليأتي بخبر القوم، وقال له: «ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي»[٤] يقول حذيفة: «فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد قوسي، وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول ﷺ: «لا تذعرهم علي، ولو رميته لأصبته، فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله ﷺ، فأصابني البرد حين رجعت، وقررت فأخبرت رسول الله ﷺ،

---

(٣) البداية والنهاية ٤/٢٢٣.

(٤) رواه مسلم (١٧٨٨) - كتاب الجهاد والسير.

وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائما حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: قم يا نومان!»[٥].

إنها كانت ليلة من أشد ليالي الشتاء بردا وظلمة، مما جعل الصحابة رضي الله عنهم لايقومون عندما كان رسول الله ﷺ يقول «ألا رجل يأتيني بخبر القوم؟»[٦] ولكنه عندما وجه الأمر لأحدهم وهو حذيفة امتثل حالا، ودونما تردد، وهو يعلم مشقة المهمة المرسل إليها، ويعلم أن نفسه تأبى الخروج في مثل هذه الليلة الشديدة البرد، ثم ترد دقة حذيفة رضي الله عنه في التنفيذ، إنه يرى أبا سفان قائد جيوش الأحزاب بارزاً أمامه دون حائل، ويكاد أن يقتله، ولكنه يتذكر أمر رسول الله ﷺ فيتوقف عن الاجتهاد بما لم يؤمر به، لألا يؤدي اجتهاده إلى ردود فعل غير متوقعه، أو إلى نتائج سلبية، غير ما كان يرجو. إن كثيراً من الخطط يصيبها الارتباك بسبب اجتهاد القائمين على التنفيذ بغير ما أمروا به، وجروا عليهم من البلاء الذي لم يخططوا لمواجهته، الكثير الكثير، بسبب اجتهاداتهم وخروجهم عما أمروا به زيادة أو نقصا أو تجديداً كاملاً، يختلف تماماً عن الأوامر الأصلية.

*** لماذا يطيعون؟:**

إنهم يطيعون قيادة الدعوة، لأنهم يعلمون أن طاعة أمير الدعوة من طاعة الرسول ﷺ، ومن أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله، كما ذكر ذلك في الحديث الشريف «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصيني فقد عصى الله، ومن يطع أميري فقد أطاعني، ومن يعصي أميري فقد عصاني»[٧].

وليس مهماً عندهم أن يكون الأمير فلان بن فلان أو فلان بن علان ما دام

---

(٥) (٦) رواه مسلم (١٧٨٨) - كتاب الجهاد والسير.

(٧) مسلم (١٨٣٥).

يأمر بالحق وينقاد إليه، ذلك لقول الرسول ﷺ: «اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[٨].

ذلك لأهمية الطاعة في حياة المجموعة، ليسهل سيرها، وتحقيق أهدافها، فالسمع والطاعة، كما يقول الدكتور محمد السيد الوكيل «هما من أهم حقوق القيادة في كل زمان ومكان، إذ بغير السمع والطاعة لا يمكن الضبط والربط، كما لا يمكن تكوين جيش رادع لعدوه، يدافع عن وطنه، وبغير السمع والطاعة تكون الفوضي التي لانظام فيها، والاضطراب الذي لا استقرار معه»[٩].

---

(٨) رواه البخارى ١٣/١٠٨.

(٩) القيادة والجندية ص ٢١٠.

الوقفة (١٥) حدود الطاعة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «استعمل النبي ﷺ رجلا من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم إن يسمعوا له ويطيعوا، قال: فأغضبوه في شيء، فقال: أجمعوا لي حطبا، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فاوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى.. قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، قال: فسكن غضبه، وطفئت النار، فلما قدموا على النبي ﷺذكروا له فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً إنما الطاعة في المعروف»[1].

فالرسول ﷺ يحدد هنا حدود الطاعة، وهي ما كان بالمعروف، فاذا خرجت عن دائرة المعروف، وأنتقلت إلى ما غضب الله، فلا طاعة لمخلوق بمعصية الخالق، والذي علينا طاعتهم كثير منهم الخليفة وامراؤه في الدولة الاسلامية، والأب والأم والزوج بالنسبة للزوجة، والعبد لسيده، والخادم لمن يخدمه، والجندي للقائد، وطالب العلم للشيخ، والأجير لمن استأجره فيما يخص العمل المكلف به، وعندما استلم أبوبكر رضي الله عنه الخلافة قال في خطبته «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم «أو كما قال»[2].

وهنا يحدد الخليفة حدود طاعة الشعب لخليفتهم، فهي ليست طاعة

---

(١) البداية والنهاية ٤/٢٢٦ وأخرجه البخاري «الفتح ٧١٤٥».
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٦٩.

عمياء، إنما الطاعة فيما يأمر به الله أو ما هو في ضمن المعروف، أما أن خرجت عن المعروف فلا طاعة، فإذا أمر الخليفة أو المسؤول الأول في الدولة الشعب بمعصية بينه ليس فيها تأويل فلا طاعة للشعب له بذلك. ويأتي دور الوالدين الذين هما أحق الناس بالطاعة بعد الله سبحانه وتعالى «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا »[٣]. ومع هذه التوصية العظيمة للوالدين، يستثنى طاعتهما، إذا أمرا الأبناء بالمعصية فقال: «وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا »[٤]. فإن طلب الوالدين من أبنائهما عدم مصاحبة الصالحين ومصاحبة أصحاب الفساد، فلا طاعة لهما حينئذ، وإن طلبا منه مصاحبة الفتيات ومغازلتهن فلا طاعة، وكذلك بالنسبة للزوج، فلا طاعة له من قبل الزوجة إن طلب منها أمراً يغضب الله كالتبرج مثلا أو وضع الماكياج فوق الحجاب، وحضور مجالسه مع الرجال، وهكذا دائما، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

(٣) الإسراء ٢٣.
(٤) لقمان ١٥.

الوقفة ١٦ إنهم لا يعتذرون

* أسباب الإعتذار:

قبل التوجه إلى تبوك ذهب الرسول ﷺ إلى الجد بن قيس أحد بني سلمة، فقال له «هل لك ياجد العام في جلاد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني، فو الله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشي إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال أذنت لك»(١) فنزل قوله تعالى «وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا»(٢).

إن هذه السورة من أشد سور القرآن الكريم فضيحة للمنافقين، وتبييناً لصفاتهم، لذلك سميت بالفاضحة. وهذه الصفة التي تذكر في هذه الآيات من أخص خصائص المنافقين، وهي «الاعتذار» عن المشاركة في الجهاد وأعمال الدعوة، والأسباب الحقيقية التي تكمن وراء ذلك كثيرة، من أهمها:

١- الجبن والذي يتفرع منه الخوف من مواجهة الأعداء، وما ينتج عنه من سجون وتعذيب، وتضييق، وموت في بعض الأحيان.

٢- عدم القدرة على تحمل أعباء الدعوة.

٣- الخوف على الرزق، فهو يعتقد بأنه إذا انشغل بأمور الدعوة ومتطلباتها، فإنه ينشغل عن أمور الدنيا والرزق، والفرص التجارية وغيرها.

---

(١) البداية والنهاية ٣/٥ عن محمد بن اسحق (وصححه الرفاعي (تيسير العلي القدير ٣٤٣/٢).
(٢) التوبة ٤٩.

٤ـ الخوف على فقدان المنصب، فهو يظن أنه إذا ما عرف توجهه الإسلامي، فإنه يتعرض للتجميد عن المناصب والدرجات.

٥ـ عدم الصبر عن مفارقة الزوجة الحسناء، والأبناء.

هذه بعض الأسباب الحقيقية وراء الإعتذار، ولكنهم يعتذرون بأعذار أخرى غير هذه، حتى لا يفتضح أمرهم.

* **إعتذارات مهزوزة:**

فهم يقولون كما جاء في الآيات السابقة «إئذن لي ولا تفتني» ولا شك أن هذا العذر يبدو في ظاهره حرص صاحبه على حفظ نفسه من فتنة النساء، واهتمامه بالمحافظة على إيمانه، ولكن حقيقة الأمر غير ذلك، وهم يعتذرون بانشغالهم بالتجارة وشؤون الأسرة والتزاماتها، كما قال تعالى مخبراً عنهم «سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا»[٣].

يقول الأستاذ المحامي حسن عبد الغني رحمه الله معلقاً على هذه الآية «ذلك الاحتجاج الذي احتجت به بعض قبائل الأعراب من أنهم شغلوا بأموالهم وأهليهم عن الجهاد في سبيل الله «شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا» وإن ان الله تبارك وتعالى قد كذبه وخطأه وأخبر بأنه محض اختلاف.. إلا أن هذا الاحتجاج غريب في نوعه.. غريب في كل شيء.. والأغرب منه.. كيف أن هؤلاء يستسيغون لأنفسهم ذلك.. أليس للمسلمين جميعاً أهل وأولاد؟ أليس الجميع في حاجة إلى الارتزاق والتكسب والعمل لإطعام نفسه وأهله وأولاده؟.. فكل أمريء تشغله أمور حياته.. أمعنى ذلك ألا يكون هناك جهاد؟ وهل يكون نتيجة لذلك ألا يكون الكفاح، وألا تكون التضحية؟..»[٤].

---

(٣) الفتح ١١.

(٤) المنافقون وشعب النفاق ص ١٤٥، ١٤٦.

ومن غرائب ما يحتجـون به عند اعتذارهم، هو احتجاجهم بحماية البيوت من السراق، وغيرهم أثناء غيبتهم عن البيوت، فالزوجة مع الأبناء لوحدهم في البيت، أو الزوجة لوحدها دون أبناء، فمن يحميها؟؟!! ويعلم الله خالقهم أن حقيقة الأمر غير ذلك، يذكرهم الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب «وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا»(٥).

*** من علامـات السقوط:**

والاعتذار عن المشاركة في الجهاد، وما تتطلبه الدعوة وتقوم عليه، من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأنشطة التي تربى فيها أفرادها وباقي أفراد المجتمع على الاسلام وهديه وقيمه، يكون في الغالب علامة من علامات السقوط. فإذا ما ضعف بدت عليه بعض المظاهر والتي منهـا، التخلف عما تتطلبه منه الدعوة، أو التخلف عن أنشطتها، وكثرة الاعتذار والتي تصبح بعد مدة صفة من صفاته، والسبب في ذلك أنه بعد ميله لأمر من أمور الدنيا، وتفضيله على ما عند الله، يحدث في نفسه صراع بين ما يعيشه بجسده مع الدعوة، وبين ما يشعر به بين جنبات نفسه، فيرى أن المخرج من هذه المعاناة في عدم التجانس بين حضور الجسد وبين شعور النفس، هو الابتعاد عن الجماعة والذي يسبقه بطبيعة الحال كثرة الاعتذار، لأنه لايستطيع أن يعلنها مباشرة قاطعة بالمغادرة.

وهذا اللون من الاعتذار الذي يعقبه السقوط هو اعتذار يستمر ويزداد يوماً بعد يوم، ولكن يوجد نوع آخر من الاعتذار، وهو الاعتذار المؤقت والذي يكون سببه حالة ضعف مؤقتة يرجع بعدها الأخ بهمته العالية بعد أن يشعر بخطئه. ولا يشمل هذا الحديث المتخلفين لأعذار حقيقية.

---

(٥) الأحـزاب ١٣.

الوقفة (١٧) لا مناصب في الدعوة

يقول ابن اسحق: حدثني الزهري أنه - أي الرسول ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر لله يضعه حيث يشاء. قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بك»[1]

وهكذا يجب أن يدرك كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله، ألا يشترط عليها منصبا أو عرضا من أعراض الدنيا، لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء.

والداخل في أمر الدعوة، إنما يريد ابتداءً وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل فهذه علامة خطيرة تنبيء عن دخن في نية صاحبه. لذا قال يحيى بن معاذ الرازي: «لايفلح من شممت منه رائحة الرياسة»[2].

*** يوسف يطلب الرآسة:**

فالرئاسة لا تطلب إلا إذا تعذر وجود البديل أو الأكفأ، عندها يكون

---

(١) البداية والنهاية ٣/١٣٩، ١٤٠.

(٢) صفة الصفوة ٤/٩٤.

لزاما عليه طلبها، لا لذاتها إنما كي لا يستلمها من هو دونه بالكفاءة فيضيع الأمانة، وهذا يوسف عليه السلام مثالا لذلك، عندما رأى أنه لايوجد من هو أكفأ منه، قال للملك «اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ»[٣] بعد أن قال له الملك «إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ»[٤] يقول سيد رحمه الله: «إنه لم يسجد شكرا كما يسجد رجال الحاشية المتملقون للطواغيت. ولم يقل له: عشت يا مولاي وأنا عبدك الخاضع أو خادمك الأمين كما يقول المتملقون للطواغيت! كلا إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أوّل بها رؤيا الملك، خيرا مما ينهض بها أحد في البلاد، وبما يعتقد أنه سيصون به أرواحا من الموت وبلادا من الخراب، ومجتمعا من الفتنة ـ فتنة الجوع»[٥].

فالذي يلتحق بركب الدعوة، عليه ألا يتوقع رئاسة، أو منصبا ما، إنما يجب أن يوطن نفسه من أول يوم يضع فيه قدمه على باب الدعوة، بأن يكون جنديا لها، فإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن كان في المقدمة كان في المقدمة، ليس له هدف سوى مرضاة الله، إنما يحدث التعثر إذا التفت لغير الله، وحدثته نفسه بأمر من حظوظها. ولهذا السبب جعلها الرسول ﷺ واضحة وضوح الشمس للذين بايعوا بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية بقوله «فإن وفيتم فلكم الجنة»[٦].

فلم يعدهم بمنصب، ولا بجاه، ولا بمال، أو بأي لون من ألوان الدنيا، إنما علقهم بالآخرة، لترتفع نفوسهم وآمالهم، وهممهم من وحل طين الدنيا، إلى السماوات العلا.

---

(٣) يوسف ٥٥.
(٤) يوسف ٥٤.
(٥) في ظلال القرآن ٤/٢٠٠٥.
(٦) البخاري ١/٥٤ـ٥٨ وله تكملة.

طوبى لعبد...

ويمدح الرسول ﷺ هذا الصنف من الدعاة، الذين ليس لهم سوى رضى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فليس مهما لديهم مواقع عملهم سواء كانت في المقدمة أو المؤخرة، وذلك بقوله ﷺ «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبر قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»(٧).

يقول ابن الجوزي «المعنى أنه خامل الذكر لايقصد السمو، فإن اتفق له السير سار، فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة استمر فيها»(٨).

ويقول ابن حجر «فيه ترك حب الرئاسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع»(٩).

هذا الصنف من الدعاة هو الذي تنجح الدعوة به، أما المتطلعون للرئاسة والمناصب والشهرة فإنهم من دون شك يكونون أحجار عثرة في طريق نجاح الحركة الاسلامية.

---

(٧) أخرجه البخاري ـ الفتح ٢٨٨٧ ـ وهو جزء من حديث.
(٨) (٩) فتح الباري ٦/٨٣.

دروس من حادثة حاطب

الوقفة (١٨)

روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها، قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: اخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين - يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ماهذا؟ قال: يارسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرءا ملصقا في قريش - يقول: كنت حليفا - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يارسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فأنزل الله السورة [الممتحنة: ١]: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق - إلى قوله - فقد ضل سواء السبيل﴾[1].

إنها حادثة غريبة في تاريخ الاسلام، حدثت بأمر الله لتعطي دفقا

---

(١) الفتح الباري ٤٢٧٤.

جديدا من التجربة لهذا الجيل الناشيء، ولترسم لهم قواعد في الدعوة يعتمدونها، بعد أن يغادر عنهم قائدهم ﷺ ولتكون دروسا لمن بعدهم من أجيال الدعاة يستنيرون بها في طريقهم اللاهب، ومن أهم هذه الدروس المستقاة من هذه الحادثة:

*** الدرس الأول ـ كل ابن آدم خطاء:**

إن الخطأ الذي اقترفه هذا الصحابي الجليل ليس بالخطأ اليسير. إنه يسمى في قوانين العالم الآن ـ بالخيانة العظمى ـ والتي يكون عقابها الاعدام. إنه كشف لأسرار لو وصلت إلى الأعداء ربما لأحدثت كارثة ومجزرة للصحابة لايعلم حجمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن الله سلم.

وهذا الصحابي الجليل، ليس من عوام الصحابة، بل هو من خاصتهم ومن أولي الفضل منهم، ومن الذين كانوا يستشارون في عظائم الأمور، إنه من أهل بدر ـ ويكفي هذا شرفا ـ، والصحابة بمجموعهم خير القرون بنص قول الرسول ﷺ، ومع كل هذا يخطيء واحد من أفضلهم هذا الخطأ الفادح، ذلك ليعلم الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن البشر ما داموا ليسوا رسلا ولا ملائكة فهم غير معصومين من الخطأ، حتى وإن كانوا من خيرة خلق الله، وأن الايمان كما عرفه علماء السلف رضي الله عنهم «يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي» فما من إنسان إلا ويتعرض إلى فترات من الضعف تمر عليه في حياته، بسبب ضعف اتصاله بالله أو بكتابه أو بالمؤمنين، أو بسبب زينة من زينة الدنيا، أو لأي سبب آخر من الأسباب المضعفة للايمان، لهذا قال الرسول ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٢] فما من بني آدم إلا وهو معرض للخطأ، ولكن الرسل معصومون

---

(٢) رواه أحمد ١٩٨/٣ وحسنه الأرناؤوط ـ شرح السنة ٩٢/٥.

من الخطأ في التبليغ ولكنهم يخطئون بالأمور البشرية الصرفة، التي ليس لها علاقة بالتبليغ عن الله. وخطأ هؤلاء القمم من الصحابة رحمة، حتى لا يأتي البعض من بعدهم ويضع لهم هالة من التقديس والتقدير والالوهية، كما فعل النصارى، وكما تفعل باقي الملل المنحرفة بصالحيهم، هذه النظرة المهمة لايدركها الكثير من المسلمين، فهم ينظرون إلى القدوات من المتدينين على أنهم معصومون من الخطأ، حتى إذا ما أخطأ أحدهم يوما من الأيام لضعف أصابه فإنهم يستعظمون ذلك ولا يلتمسون له عذرا، بل إنه يسقط من أعينهم، وربما يعامل معاملة قاسية حتى بعد توبته وإصلاح شأنه، وليس هذا مبرر لخطأ من يخطيء، بل هو إدراك لحقيقة، ولابد أن يكون هناك فرق بين من يخطيء ويصر على خطئه، وبين من يخطيء ويشعر بخطئه ويندم عليه ثم يصلح من نفسه، لهذا ذكر الله تعالى في صفات المتقين الذين وعدهم بجنة عرضها السموات والأرض بأنهم «وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»[٣]. ولكن الصنف الذين أخطئوا وأصروا على خطئهم، ولم يعترفوا ولم يندموا أنزل الله سبحانه وتعالى آيات تعريهم وتكشفهم، بل أنزل سورة كاملة، كسورة المنافقين لتفضحهم، وتبشرهم بمأواهم في جهنم، وطردهم من رحمة الله.

*** الدرس الثاني ـ لا اجتهاد بعد إتفاق:**

تذكر الروايات التاريخية بأن الرسول ﷺ كان يكتم حقيقة توجهه عن الجيش، حتى يقطع الطريق عن العيون أن توصل الخبر إلى أعدائه، خاصة في غزوة الفتح الكبرى، ولكنه كان يخبر الخلص من صحابته الكرام بحقيقة

---

(٣) آل عمران ١٣٥.

وجهته، والذي كان أحدهم الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة، والدرس المستفاد هاهنا أن الرسول ﷺ عندما اجتمع بهؤلاء المصطفين. لم يعترض أحـدهم، واتفقوا جميعا على هذا الأمر، وهذا يقتضي عدم الاجتهاد بعد الاتفاق، لأن أي اجتهاد بعد ذلك الاجماع يؤدي إلى خلخلة في تطبيق الخطة، وربما أدى إلى كارثة، حتى وإن كان الاجتهاد صغيرا، وكم من خطة فشلت بسبب اجتهاد من الأفراد بعد اتفاق. فكان على المجتهد أن يسأل ويسأل ويستوضح ويقترح حتى لايبقى أي شيء في نفسه بعد الاتفاق، فإذا ما اجتهد بعد كل هذا فهو الذي يتحمل وزر ما يمكن أن يقع من مآسي بسبب اجتهاده.

*** الدرس الثالث ـ التريث قبل إصدار الحكم:**

فالرسول ﷺ في هذه الحادثة، لم يتعجل إصدار الحكم، مع أنه أوحى إليه بذلك الأمر، ولم يتأثر بحماسة بعض أصحابه الذين طالبوا بقتل ذلك الصحابي واتهموه بالنفاق. إنما اتخذ بعض الخطوات قبل إستصدرا الحكم، فأرسل إثنين من الصحابة لتلك المرأة ليطلع على طبيعة الأمر، ولما استلم الكتاب ورأى ما فيه ناداه مستفسرا عن سبب فعلته تلك، من دون غضب أو إنفعال، بل ناداه باسمه «يا حاطب ما هذا»، ولما سمع منه عذره، علم صدق حديثه فعفا عنه، وقد أنزل الله تعالى بعد ذلك ما يؤكد إيمانه بقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا. . . . . الآيات﴾.

*** الدرس الرابع ـ إعانة الضعيف وإقالة عثرته:**

لما علمنا بأن كل ابن آدم خطاء، ولما عرفنا بأن الخطائين على صنفين أحدها المصر على الخطأ والمتمادي فيه، والآخر هو المعترف بالخطأ والنادم على فعلته، لابد من التركيز على الصنف الثاني، وهو المعترف بذنبه والنادم على

خطئه، إذ أنه من الخطأ الجسيم في العمل التربوي أن يعامل كما يعامل الصنف الأول، والذي يتحول مع الزمن إلى عائق من عوائق الدعوة، بل ربما عدو من أعدائها، بل من الحكمة أن يعامل معاملة فيها الكثير من رحابة الصدر والحلم. والعمل على إعانته على النهوض من كبوته التي كباها، وإقالة عثرته بكل ما نملك من وسائل، وذلك بذكر ايجابياته والخير الذي قدمه، ولا نشعره بأن نظرتنا له قد تغيرت عما كانت عليه بالسابق، أو نعامله معاملة تختلف عما كانت عليه قبل عثرته. إن هذا العلاج السلبي يؤدي في الكثير من الأحيان إلى نتائج سلبية، أقلها أن يخرج من إطار الخير وينطوي على نفسه، وأكثرها أن يتحول إلى عدو من أعداء الدعوة يعمل جهده من أجل عرقلتها، وبين هاتين النتيجتين، نتائج كثيرة جميعها ليست في صالح الدعوة، لهذا كله عرف الرسول ﷺ كيف يتعامل مع هذا الصنف من الناس، وقال لأصحابه المقربين وهم يستمعون إلى تقريره، وربما توقعوا أن يصدر فيه الرسول ﷺ أشد العقوبات «أما انه صدقكم».

*** الدرس الخامس ـ ميزان تقويم الرجال:**

إن من الظلم والطيش أن يقوَّم الرجال بحادثة واحدة، مهما كانت هذه الحادثة، وترك الماضي الزاخر بالحوادث والمواقف. فالكم والكيف عنصران ضروريان في عملية التقويم، كم قدم؟ وماذا قدم؟

ـ فالعنصر الأول ـ معناه السابقة، فالمهاجرون ليسوا كالأنصار، وأهل بدر ليسوا كأهل أحد، ومن آمن قبل الفتح ليس كمن آمن بعده، والصحابة رضي الله عنهم ليسوا كالتابعين، ومن انضم لقافلة الدعوة أيام اضطهادها ومضايقتها ليسوا كمن انضم إليها بعد أن آل إليهم الزمام والسلطان، فالسابقة لها تأثيرها بلا ريب في عملية التقويم.

ـ والعنصر الثاني ـ هو نوعية العمل الذي قدمه في سبيل الله.

فالجهاد بالنفس ليس كالجهاد بالمال، والشهادة ليست كأي موت آخر، والحياء ليس كإماطة الأذي عن الطريق. والذي يطعم الطعام على حبة مسكينا ويتيما وأسيرا، ليس كمن يطعم الطعام وهو بغير حاجة له لكثرته. وهذا ما نظر إليه الرسول ﷺ وهو يقضي بهذه الحادثة فعلم صدق إيمانه عندما قال «لم أفعله إرتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام» فقال: أما إنه صدقكم، ونظر في سابقته عندما طلب منه عمر رضي الله عنه قتله، فقال له «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا. قال إعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم».

*** الدرس السادس ـ التأدب مع القيادة:**

فرأى القيادة ليس كرأي الأفراد، فهي تنظر نظرة شمولية بينما الأفراد ينظرون نظرة جزئية، إنها في قمة الهرم وترى كل ما يحيط بالهرم وما يبعد عنه، ولكن الأفراد في أدنى الهرم قرب قاعدته، فهم ينظرون إلى ما جاورهم، والقريب منهم، لذلك تكون نظرتهم محددوة، ومن هذا المنطلق، لا بد للأفراد أن لا يقيسوا نظراتهم وآراءهم بما يقيسون به آراء ونظرات القيادة، فللقيادة وزن يختلف عن وزن الجنود، وإن كانت القيادة كبشر معرضة للخطأ، فبشريتهم لا تعني دنو نظراتهم وآرائهم وتقويمهم ومساواتها بنظرات وآراء وتقويم الأفراد.

وفي هذه الحادثة يتجلى أدب الفرد مع القيادة، فعمر رضى الله عنه لفرد يقترح على الرسول ﷺ القائد بقتل حاطب، وله ما يبرر هذا الطلب ولكن القائد يرد عليه بأنه من أهل بدر، وفي هذا الرد ما فيه من معاني يفهمها جيدا عمر رضي الله عنه، فما أن سمع هذه الاجابة من قائده، حتى سكت دون أن يردد كلمة واحدة، أو يجادل في رأيه ويصر عليه، أو يخرج

غاضبا لرد اقتراحه، مع ما في اقتراحه من وجاهة، كما لم ينقل في الروايات جميعها أي رد ممن لم يشاورهم الرسول ﷺ في شأن سيره. يقول سيد رحمه الله «وأخيراً يقف الانسان أمام تقدير الله في الحادث، وهو أن يكون حاطب من القلة التي يعهد إليها رسول الله ﷺ ـ بسر الحملة. وأن تدركه لحظة الضعف البشري وهو من القلة المختارة. ثم يجري قدر الله بكف ضرر هذه اللحظة عن المسلمين، كأنما القصد هو كشفها فقط وعلاجها! ثم لايكون من الآخرين الذين لم يعهد إليهم بالسر إعتراض على ما وقع، ولاتنفج بالقول: ها هو ذا أحد من استودعوا السر خانوه، ولو أودعناه نحن ما بحنا به! فلم يرد من هذا شيء. مما يدل على أدب المسلمين مع قيادتهم وتواضعهم في الظن بأنفسهم، واعتبارهم بما حدث لأخيهم»(٤).

الدرس السابع ـ كفاية الله للمجاهدين في سبيله:

إن من كفاية الله للمجاهدين في سبيله لآيات ـ لأولي الألباب ـ فعلى مـر العصور، يحار المرء بقدر الله العجيب كيف يحمي دعوته، ويكفي من يدعو في سبيله، كيف ينقذ نوح عليه السلام ومن آمن معه في سفينة، ويغرق كل من على الأرض في طوفان لم يتكرر مثله في تاريخ البشرية؟؟ وكيف أنقذ إبـراهيم وهو يلقى في النار التي من طبيعتها الاحراق. فيوقف فيها هذه الخاصية لتكون نجاته آية من الآيات؟ لتظهر بعد ذلك دعوة التوحيد رغم أنف النمرود ومن شاكله من طواغيت ذلك الزمان.

وكيف أنقذ موسى ومن آمن معه من فرعون وجنوده وأطبق عليهم البحر، ليستمر بعد ذلك موسى عليه السلام ويموت فرعون ومن تبعه؟؟ وكيف أنقذ عيسى عليه السلام من مؤامرة الاغتيال ورفعه إليه؟؟ ثم يأتي

---

(٤) الظلال ٦/٣٥٣٩.

محمد ﷺ لتكون في حياته أعاجيب الكفاية الربانية لمن تبع هذا الدين، وما حادثة حاطب رضي الله عنه إلا واحدة من الكثير من الحوادث التي حفظ الله بها أولياءه الصالحين في فترة الرسالة الخاتمة، فعندما عجز البشر كبشر أن يكتشفوا هذا الأمر، وخاصة أن مصدره فوق الشبهات، لم يترك الله عبيده المجاهدين في سبيله ليقعوا فريسة سهلة لقساة القلوب والأكباد من البشر، فأرسل جبريل ليخبر رسوله ﷺ بالأمر، وليكون درسا يضاف إلى الدروس الكثيرة من قبل، بأن النصر إنما يكون من الله، وليس من البشر، وأن الحافظ هو الله سبحانه وحده، وما الخطط والتدبير، والتخطيط والسلاح، والأعداد إلا أسبابا لا تنفع بذاتها دون المسبب للنصر، وهو الله سبحانه وتعالى، وليستمر رنين الآيات الكريمة في أذن الرسول ﷺ وفي أذن وقلب كل داعية من بعده، «وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى» حتى لا تبقى في نفوس الدعاة إلى الله وهم يتحركون في سبيل نصرة دينه أي خلجة من خوف أو تردد ما داموا تحت كنف الله سبحانه وفي كفايته، وحتى إن ماتوا أو استشهدوا فإن شهادتهم نصر في ميزان السماء.

خشوعهم وتخاشعنا

الوقفة (١٩)

بعد معركة من معارك الرسول ﷺ مع إحدى القبائل المعتدية على دولة الاسلام الناشئة في المدينة، والتي انتصر بها وأدبها في عقر دارها، رجع رجل من تلك القبيلة إلى منزله ولم ير زوجته فظن أنها أخذت سبياً من قبل المسلمين فأقسم ألا يرجع حتى يثأر لزوجه فأخذ يتتبع الجيش الاسلامي، وكان الرسول ﷺ قد أمر الجيش بالتوقف عند حلول الظلام للمبيت حتى الصباح، وطلب من الصحابة رضي الله عنهم حراسة الجيش، فتطوع كل من عمار بن ياسر وعباد بن بشر، «فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري «أي عباد لعمار»: أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره؟ قال: بل اكفني أوله، فاضطجع المهاجري «أي عمار» فنام، وقام الأنصاري «أي عباد» يصلي: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم «أي حارسهم» فرمى بسهم فوضعه فيه، فانتزعه ووضعه، وثبت قائما، ثم رمى بسهم آخر، فوضعه فيه فنزعه، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه، ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه «أي أيقظه من النوم» فقال: اجلس فقد اثبت، فوثب الرجل، فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به فهرب، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك، قال: كنت في سورة اقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تتابع علي الرمي ركعت فاذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو انفذها»[1].

---

(١) البداية والنهاية ٤/٨٥.

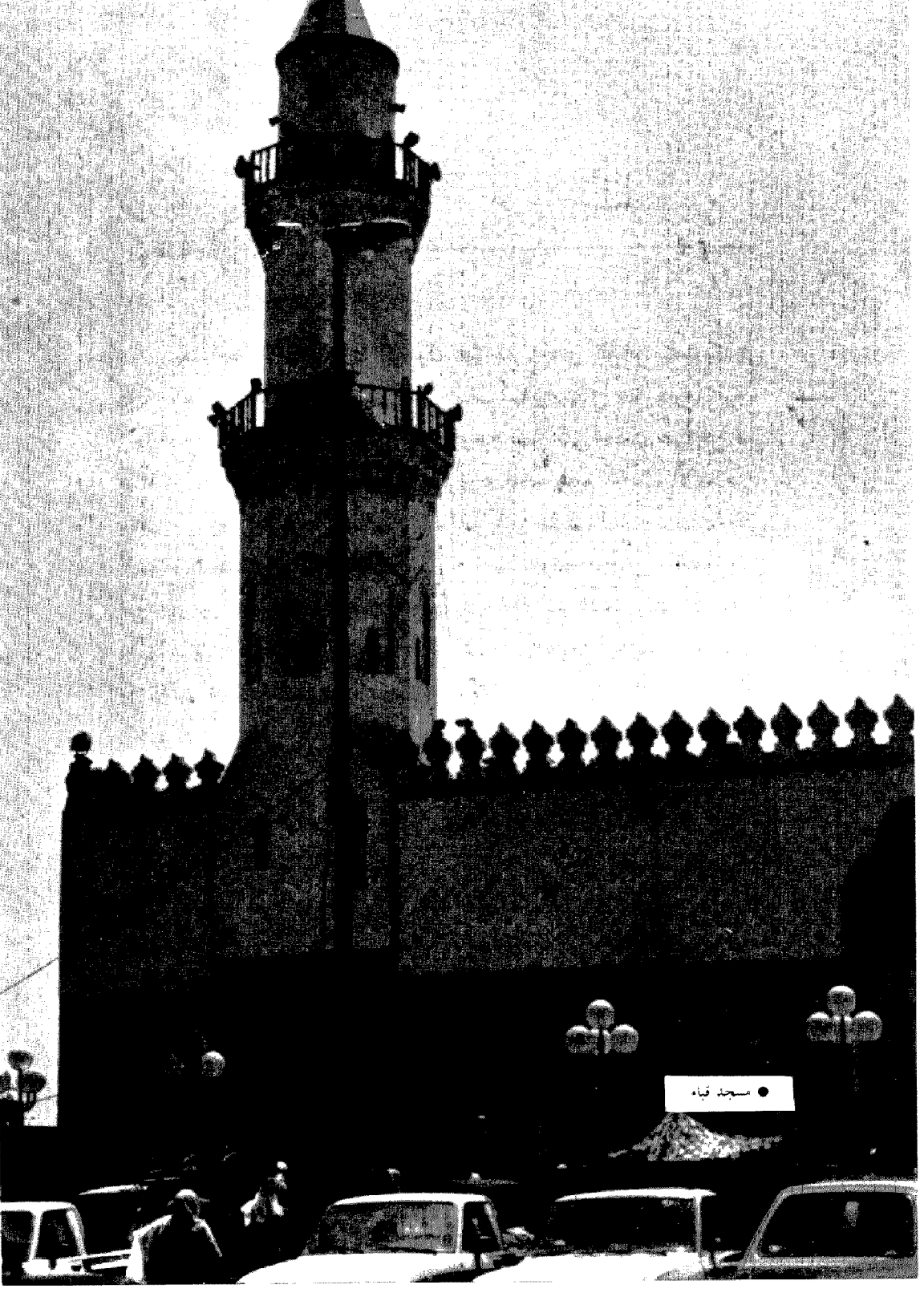
مسجد قباء

هكذا كان خشوعهم، بل روى عن بعضهم أنه قطعت رجله أثناء الصلاة دون أن يشعر، فأي سمو هذا؟ وأي خشوع كانوا يخشعون كان أحدهم يرى سلوته وراحته في الصلاة، لذلك كان الرسول ﷺ إذا حزبته الأمور، وتجمعت عليه المصائب نادى بلالا قائلا «أرحنا بها يا بلال» فهو يراها راحة يستريح بها من عناء ما يلاقي من تكذيب وصد عن سبيل الله وبلاء من زعماء قريش أما نحن فتقف أجسادنا في المسجد فقط، أما أفكارنا وشعورنا وأحاسيسنا كلها خارج المسجد تحلق في أجواء الصفقات التجارية ومصير الأبناء والعقار والخطط المستقبلية، وتسرح في جمال الزوجة أو الخطيبة، أو يضج الفكر في المشاكل الزوجية والأبناء والجيران، والزروع والسيارات وما يتعلق فيها من بيع وشراء وإصلاح، ومشاكل العمل وأخذ الدرجات والعلاوات والخصومات، إلى آخر ما نسرح فيه بعيدا جدا عن المسجد، حتى إذا ما سمعنا الامام قال: «السلام عليكم ورحمة الله» انتبهنا، كأن أحداً يوقظنا من سبات عميق، لنشعر من جديد أننا في مسجد، وبين جماعة قد صلينا الصلاة الفلانية، هذا هو أحد الأسباب، التي نرى فيها كثيرا من المصلين مع محافظتهم على الصلوات إلا أنهم يقترفون كثيرا من المعاصي والمظالم، ذلك لأنهم لم يخشعوا في صلاتهم، فيستشعرون أن الله أمامهم، ولم يتدبروا ما يقرأون أو يقرأ الامام، فلذلك لم تنههم صلاتهم، يقول تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٢] وهذا كلام لا نشك بصحته، لو أننا مارسنا الخشوع، وتركنا التخاشع.

(٢) العنكبوت ٤٥.

الوقفة (٢٠)

قال ابن اسحق «ثم أن أبا خيثمة رجع بعد ما سار رسول الله ﷺ أياما، إلى أهليه في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى إمرأتيه، وما صنعتا له فقال: رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنصف، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ. فهيئا زاداً، ففعلتا، ثم قدم ناضحة فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وكان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجحمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب «إن لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل. فقال رسول الله ﷺ «كن أبا خيثمة» فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما بلغ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له «أولى لك يا أبا خيثمة» ثم أخبر رسول الله الخبر فقال خيراً ودعا له بخير». (١).

* ما هي التصفيـــة؟:

في الحادثة السابقة يتبين أن الصحابي الجليل أبا خيثمة مر بحالة ضعف

---

(١) البداية والنهاية ٥/٧، ٨. وجاء في دلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤ بطرق مختلفة مرسلة يقوى بعضها الآخر.

وفتور جعلته يتخلف عن المسير مع الرسول ﷺ إلى تبوك، ولكنه ما إن رأى امرأتيه وما صنعتا له، تذكر في ذات الوقت منظر الرسول ﷺ وصحابته الكرام، وهم يكابدون رياح السموم والغبار، والحر اللافح المتصبب من الشمس، فعاتب نفسه على التخلف وعزم اللحاق السريع بالركب. إن ما قام به أبو خيثمة هو لون من ألوان التصفية، وهي التنقية الدائمة للعبودية من جميع ما يعلق بها من أدران تعكر صفوها فتؤخر صاحبها أو قد تحرمه إن زادت وتأصلت من دخول الجنة.

ومن الصعب معرفة هذه الأدران دون اللجوء إلى محاسبة النفس في ساعات الصفاء، وهذا هو الذي قام به الصحابي الجليل أبو خيثمة. يقول الشيخ محمد جمال القاسمي «فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسرته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، إلى الخزي والمقت سيئاته، فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لايغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها، وخطراتها.»[٢].

*** أنواع الشوائب:**

وهذه الشوائب التي يجب تنقية العبودية منها كثيرة أهمها:ـ

١) **الرياء** ـ فيجب أن يراقب أعماله وأقواله، فما كان لله أبقاه، وما كان لغيره أبعده، فالله لايقبل العمل حتى يكون خالصاً لوجهه سبحانه.

٢) **المعاصي بجميع أنواعها.**

٣) **الجهل** ـ والصواب بالأعمال أحد شرطي قبول العمل عند الله،

---

(٢) تهذيب موعظة المؤمنين ٢/٢٣٤.

فيجب أن يتأكد أن ما يقوم به صواباً على السنة غير مخالف لها، وأنه إذا كان يجهل أمراً من الأمور يجب أن يبادر لمعرفته.

٤) **الفتور** ـ والفتور ينقسم إلى قسمين، فتور عن القيام بالواجبات، وفتور عن القيام بالنوافل، وأكثرها خطورة المتعلق بالواجبات، فيجب أن يكون شديد المحاسبة لنفسه عليها.

وهو القسم الذي أصاب الصحابي الجليل أبا خيثمة فسارع في محاسبة نفسه، وبادر للعلاج فنال ثناء الرسول ﷺ، بينما أصاب هذا اللون من الفتور ثلاثة من الصحابة في نفس المعركة وهم كعب بن مالك، وهلال بني أمية، ومرارة بن الربيع، وقاموا فعلاً بعملية التصفية ولكنهم تأخروا بالمبادرة، ثم عاقبهم الرسول بالمقاطعة التامة مما كان له أكبر الأثر على نفوسهم حتى تاب الله عليهم بعد فترة من الزمن.

أما الفتور المتعلق بالنوافل فمنشؤه ضعف الهمة الطالبة للدرجات العليا في الآخرة، والغفلة عن الموت الذي يقطع الأعمال، وعدم الإحساس بأهمية الوقت الذي هو الحياة، والانشغال بالملهيات التي تلهيه عن أداء النوافل، والاستسلام لنزعات النفس التي تكره الالتزام ومشقة الطاعات.
وإذا عرف العبد بأن النوافل سبب رئيسي في كسب محبة الله، فإن هذا يجعله يبالغ في التصفية الدائمة لكسب هذا الشرف العظيم الذي نعيش في هذه الدنيا من أجله.

٥) **العجب** ـ والعجب من أخبث الآفات التي تنتاب الإنسان، إذ يتولد منه الكثير من الآفات والتي من أبرزها الكبر يقول الرسول ﷺ فيما أخرجه البيهقي «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات، فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر، وأما

المهلكات، فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدها»[٣] وعلاج العجب بالأعمال يكون بالخوف من عدم القبول، وتذكر فضل الله بالهداية، وتذكر من هم أعلى منه بالعبادة، والخوف من سوء الخاتمة.

*** تذكر الحقائق طريق إلى التصفية:**

وطرق التصفية كثيرة أعلاها كما ذكرنا المحاسبة، والتذكر جزء رئيسي في عملية المحاسبة، يقول الزاهد حاتم الأصم رحمه الله «من صرف أربعاً إلى أربع وجد الجنة: النوم إلى القبر، والفخر إلى الميزان، والراحة إلى الصراط، والشهوة إلى الجنة»[٤] فمن تذكر القبر لا يجد وقتاً يضيعه بالنوم الكثير، ومن تذكر دقة الميزان يوم القيامة، وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ترك الفخر والعجب بأمر من أمور الدنيا، ومن تذكر ما تحت الصراط وما بعد الصراط ترك الكسل والراحة والفتور، ومن تذكر ما في الجنة من نعيم تتضاءل أمامه شهوات الدنيا بأجمعها.

*** التصفية الكاملة:**

وهي أحد أسباب الأمن من سوء الخاتمة، فمن أبقى شيئاً من هذه الشوائب دون تنقية، فإنه ليس بمأمن من سوء الخاتمة، وليس بمأمن من الزلل عند جواز الصراط، وإنه لا يستحق أن يكون من المتقين أو الورعين كما ذكر ذلك أمير المؤمنين بالحديث الإمام عبدالله بن المبارك عندما قال «لو أن رجلاً أبقى مائة شيء، ولم يبق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين، ولو تورع عن مائة شيء، ولم يتورع عن شيء واحد، لم يكن ورعاً، ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين. أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام،

---

(٣) حسن ـ مشكاة المصابيح (٥١٢٢).
(٤) الاستعداد ليوم المعاد ص ٤٩.

لما قال «إن ابني من أهلي» فقال الله تعالى «إني أعظك أن تكون من الجاهلين»[٥].

إذن هي تصفية كاملة لمن طلب المعالي، وإلا فإن هناك متسعاً مع الخوالف، ومرتعاً لأصحاب الهمم السافلة.

---

(٥) صفة الصفوة ٤/١٣٩.

الوقفة (٢١)

الإسلام والعزة:

الإسلام لا يربي أتباعه إلا على العزة، لذلك قد يستغرب البعض من هذا العنوان، ويتساءل «وهل يوجد في الإسلام ما يطلق عليه «ذلة شرعية»؟» وربما تزول دهشة ذلك السائل إذا علم أننا لانقصد بالذل هو ما يتبادر للذهن من إهانة النفس وتحقيرها عند الآخرين، بل نقصد ذلاً من نوع آخر لا يكون إلا في موضعين، هما الذل للوالدين والذل للأخوة في الله، وهما ما حث عليهما القرآن الكريم في أكثر من موضع.

*** الذلة الشرعية في القرآن:**

ويسميها القرآن «بخفض الجناح»، وجاءت في القرآن الكريم في سورة الشعراء بقوله تعالى «وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ»(١).
وبقوله تعالى في سورة الحجر «وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ»(٢).
وكلتاهما تحثان على الذلة للمؤمنين.

أما الذلة الثانية ذكرت في سورة الاسراء بقوله تعالى «وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»(٣).
والمعنى الإجمالي لخفض الجناح، هو التواضع والترفق في المعاملة، وكأن الإنسان يهبط بنفسه كما يفعل الطائر عند هبوطه.

---

(١) الشعراء ٢١٥.
(٢) الحجر ٨٨.
(٣) الاسراء ٢٤.

* خفض الجناح في السيرة:

وأول موقف أرانا نساق إليه سوقاً، هو موقف الصديق رضي الله عنه مع سيد الخلق محمد ﷺ، وهو يتحدث عن يوم الهجرة، حيث تتجلى فيها أسمى معاني الحب في الله، وخفض الجناح. يقول أبو بكر «خرجنا فأدلجنا فأحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت بصري هل أرى ظلاً نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها، فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله ﷺ، وفرشت له فروة، وقلت اضطجع يا رسول الله، فاضطجع ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا براعي غنم، فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من قريش ـ فسماه فعرفته ـ فقلت هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم! قلت هل أنت حالب لي؟ قال: نعم! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعي أداة على فمها خرقة، فحلب لي كثبة من اللبن، فصببت على القدح حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته، وقد استيقظ فقلت اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت»(٤) إن الرسول ﷺ هو الذي يشرب والصديق يرتوي لمجرد نظره للحبيب وهو يشرب. إنه يظمأ، ولكنه يرتوي إذا رأى أخاه يشرب، وهذا هو الإيثار الذي يعتبر أعلى مراتب الأخوة، وخفض الجناح.

ولم يختص خفض الجناح بالصديق فقط، بل تعداه إلى باقي الصحابة رضي الله عنهم، وضربوا أروع الأمثلة في ذلك، حتى مدحهم الله سبحانه وتعالى في كتابه بقوله «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ»(٥).

---

(٤) البداية والنهاية ٣/١٨٧.

(٥) الفتح ٢٩.

* أبو عبيدة بن الجـراح:

وكان من هؤلاء القمم الصحابي الجليل أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، ففي غزوة ذات السلاسل «قال له عمرو أنت مددي[٦] فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لي «لا تختلفا» وإنك إن عصيتني أطعتك، فقال له عمرو فإني أمير عليك، وإنما أنت مدد لي، قال: فدونك فصلى عمرو بن العاص بالناس»[٧].

إنه كما قال عنه الحافظ ابن كثير «كان رجلاً ليناً سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا»[٨] وهي جميعها صفات «خافض الجناح».

ما أجملها كلمات يتلفظ بها الصحابي الجليل أبو عبيدة

وما أجمله من فهم لمتطلبات الأخوة بالله.

وما أجمله من إدراك لخطورة الخلاف وأثره على وحدة الصف.

* أقسام خفض الجنـاح:

يقـول تعـالى آمـراً رسوله الكريم ﷺ «واخفض جناحك للمؤمنين» ومعناه: ألن لهم جانبك، ليتحقق أمامهم فيك قوله تعالى: «وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ»[٩].

وقوله تعالى «لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ»[١٠].

وقوله تعالى «فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ»[١١]

---

(٦) المدد ـ هو الجيش المرسل لمساعدة الجيش المرابط.
(٧) (٨) البداية والنهاية ٤/٢٧٤.
(٩) الأنبياء ١٠٧.
(١٠) التوبة ١٢٨.
(١١) آل عمران ١٥٩.

وعلى هذا فتكون أقسام الإنة الجانب كثيرة منها:

١ـ عدم التعالي عليهم بسبب المنصب.

٢ـ عدم التعالي عليهم بسبب المال.

٣ـ عدم التعالي عليهم بسبب العلم والمعرفة.

٤ـ عدم التعالي عليهم بسبب القوة الجسدية.

٥ـ الاستماع إلى حديثهم دون مقاطعة.

٦ـ التنازل عند رأيهم إذا حدث خلاف، خاصة فيما لا نص فيه. ويتأكد في الأمور الدنيوية.

٧ـ قضاء حوائجهم التي لايستطيعون قضاءها.

٨ـ المسارعة في استرضائهم إذا حدث ما يعكر العلاقة.

٩ـ البدء بالسلام والسؤال، وعيادتهم إذا مرضوا.

١٠ـ مساعدتهم إذا احتاجوا المساعدة في أي أمر من الأمور.

١١ـ زيارتهم وغشيان مجالسهم، ويتـأكد ذلك إذا كنت أكثر مالاً وحسباً وجاهاً، وعلماً وقوة ونسباً.

١٢ـ التجاوز عن مسيئهم.

*** صعـوبــة التجـاوز:**

ولا شك أن هذه الأخيرة هي من أصعب أقسام إلانة الجانب، ويعتبرها أمير المؤمنين في الحديث عبدالله بن المبارك أحد حقوق الأخوة، ويطلق على الإسـاءة «ظلم» إذ يقول: «من حـق الصديق أن يحتمل له ثلاث ظلم الغضب، وظلم الهفوة، وظلم الدالة[١٢]»[١٣].

إن هذه الذلة الشرعية التي تقتضي هذا التجاوز هي أحد السمات

---

(١٢) الدالة ـ من الإدلال ـ وهي سقوط الكلفة ثم يكون التجاوز.

(١٣) ربيع الأبرار ـ للزمخشري ـ ص ٤٥٥.

الرئيسية التي تميز رابطة العقيدة عن باقي الروابط الدنيوية، وإلا فلا يكون هناك تميز بارز في رابطة العقيدة إذا خلت من هذه الذلة الشرعية.

ويفصل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هذا التجاوز في وصية له، فيقول:

«احمل نفسك في أخيك
عند صرامة على الصلة،
وعند صدوده على اللطف،
وعند جحوده على البذل،
وعند تباعده على الدنو،
وعند شدته على اللين،
وعند جرمه على العذر،
حتى لكأنك له عبد، ولا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية ترجع إليها إن بدا لك يوماً ما، ولا تضيعن حق أخيك إتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس بأخٍ من ضيعت حقه»(١٤).

ما أضيعنا لهذه الحقوق الأخوية، فمن منا تصل به درجة الأخوة مع أخيه بما وصفها أمير المؤمنين «حتى لكأنك له عبد»؟!!

والعبد لا يعصي مولاه، ويحرص دائماً على استرضائه، وينتقي أجمل الكلمات ليحوز على رضا سيده، ويتعب في خدمته، ويتعرض للأخطار من أجله.

إن العبودية التي ذكرها الإمام علي رضي الله عنه، ليست هي العبودية المحضة والتي لا تكون إلا لله سبحانه، ولا هي العبودية التي تكون من العبد المملوك لسيده المالك، ولكنها عبودية بمعناها وليس بحقيقتها المتعارف عليها، ومعناها أن يخفض الأخ جناحه لأخيه لتحقيق المعنى العملي لقوله تعالى «واخفض جناحك للمؤمنين»...

---

(١٤) ربيع الأبرار - ص ٤٣٦.

الوقفة (٢٢)

* يرفضون أن يشتريهم أحد..

لما عفا رسول الله ﷺ عن سراقة بن مالك، عرض عليه سراقة المساعدة، عندما قال: «وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي فيها»[1].

الكثير من الناس، وخاصة الكبراء والقادة منهم يظن أنه يستطيع أن يشتري كل الناس بجميع مشاربهم وأفكارهم واتجاهاتهم بماله وهداياه، ولا يعلم أن هناك صنفا من الناس لايمكن أن يشتريهم أحد بأموال الدنيا كلها، ذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله، فليس لأحد حق في معتقدهم أن يتصرف بهم سوى الذي اشتراهم، فليس للآخرين ما يقدمون ما يماثل ما قدم لهم الله سبحانه وتعالى «وهي الجنة» لذلك نرى موقف الرسول ﷺ يتكرر على مر الأزمان من العلماء الربانيين، الذين يرفضون أن يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، خاصة إذا كان المعطي من أصحاب المظالم والطغيان، ونجدهم أحيانا يرفضون هذه الأموال إذا اشتبهوا في مصدرها، خوفا أن يصيبهم مال مغصوب أو مخلوط بربا، أو مال انتزع بغير حق، ومن غير طريق مشروع أو ما شابهه، تورعا منهم. ولعل رفض الرسول ﷺ لما قدمه له سراقة من هذا الباب، ذلك لأنه لم يمض على إسلامه إلا لحظات، فلا يستبعد أن تكون كثير من أمواله مشبوهة المصدر.

(١) رواه أحمد ٣/١ تحقيق أحمد شاكر. وأخرجه البخاري ١٩٠/٧-١٩٢ بلفظ «فقالا: لا حاجة لنا ولكن عم الطلب».

ولهذا صاح الامام سفيان الثوري رحمه الله في العلماء «كل من تخوفت من طعامه أن يفسد عليك قلبك فلا تجبه»[٢]. ولئن قصرها سفيان على ولائم الطعام، فإن حذيفة المرعشي زادها إيضاحا عندما قال «إياكم وهدايا الفجار والسفهاء، فإنكم إن قبلتموها ظنوا أنكم قد رضيتم فعلهم»[٣] إذن فهذا هو السبب الرئيسي في رفض أعلام العلماء لهدايا السلاطين، خاصة إذا كانوا من البغاة الطغاة، فهم يخشون أن يكون قبول الهدايا معبرا لفعل ما يغضب الله، وعائقا عن إنكار المنكر على من قبلوا هداياهم.

*** عطـاء يرفض الهـديـة:**

عندما وعظ شيخ الاسلام، مفتي الحرم، التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح، هشام بن عبدالملك، أمر هشاما من يرسل إليه كيسا به مال، وقال له: «إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا. «قال: لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على رب العالمين»[٤] وخرج ولم يشرب عنده شربة ماء.

وكان عندما دخل على أبيه من قبل عبدالملك بن مروان، وهو جالس على السرير، وحوله الأشراف، وذلك في مكة في وقت حجه في خلافته، ووعظه، وسأله حاجة المحتاجين، فلما انتهى قال له عبدالملك: «يا أبا محمد إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج فقال عبدالملك هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد»[٥].

نعم.. إنه سؤدد يشعر به الكبراء، عندما يرون هؤلاء الأعلام من العلماء يزهدون فيما هو فيه، بل إن هذا التعالي على زينة الدنيا التي ينعم بها هؤلاء، يكسب هؤلاء القدوات هيبة في قلوب السلاطين وأصحاب القرار.

---

(٢) الزهد ـ لأحمد ٢٧٥.
(٣) صفة الصفوة ٤/٢٧٠.
(٤) المصباح المضيء ٢/١١٠.
(٥) سير أعلام النبلاء ٥/٨٤، ٨٥.

* الفضيل يرفض الهدية:

هذا التعالي على حطام الأرض، وذلك الإستصغار لمتاعها، هو الذي جعل أمير المؤمنين هارون الرشيد يلجأ إلى بيت الامام القدوة «الفضيل بن عياض» ويجلس بين يديه جلوس العبد بين يدي سيده، يستمع إلى مواعظه واحدة تلو الأخرى ويبكي بكاءاً شديداً حتى غشي عليه، فقال له بعد أن أفاق «زدني فقال الفضيل: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار، فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة»(٦) فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي. قال: إنما أعني من دين العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٦أ) فقال: هذه ألف دينار خذها، فأنفقها على عيالك، وتقو به على عبادة ربك. فقال: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا. سلمك الله، ووفقك. يقول الفضل بن الربيع: ثم صمت، فلم يكلمنا، فخرجنا»(٧).

* أبو حازم يرفض الهدية:

وبعد موعظة طويلة وعظها إياه أبو حازم سلمة بن دينار المدني يقول له أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك «يا أبا حازم، هل لك أن تصحبنا، ونصيب منك؟ قال: كلا قال: ولم؟ قال: إني أخاف أن أركن إليكم شيئا

---

(٦) أخرجه البخاري ١٣/١١٢، ١١٣ في الأحكام.

(٦أ) الذاريات ٥٦.

(٧) سير أعلام النبلاء ٨/٤٢٨-٤٣١.

قليلا، فيذيقني الله ضعف الحياة، وضعف الممات. قال: يا أبا حازم إرفع إلي حاجتك. قال: نعم تدخلني الجنة، وتخرجني من النار. قال: ليس ذلك إليّ. قال: فما لي حاجة سواها»[٨] وهو يريد أن يوصلها إلى سليمان، بأنه لايملك ما يملك من باع نفسه وماله إليه، فلو كان له حاجة فإنما يطلبها ممن هو أغنى من سليمان، بل إن أبا حازم يخشى حتى من المصاحبة، خوفا من الركون إلى الدنيا وبهرجها، فيقل تأثير الأنكار.

*** الأوزاعي يرفض الهدية:**

وعندما وعظ الامام الأوزاعي أمير المؤمنين المنصور، قال له المنصور «إلى أين؟ قال الأوزاعي: إلى الولد والوطن يأذن أمير المؤمنين إن شاء الله. قال: فقد أذنت لك، وشكرت لك نصيحتك، وقبلتها بقبولها، والله الموفق للخير والمعين عليه، وبه أستعين وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثلها، فإنك المقبول القول، غير المتهم في النصيحة، قال الأوزاعي: أفعل إن شاء الله. قال محمد بن مصعب فأمر له بمال يستعين به على خروجه، فلم يقبله، وقال لنا في ذلك: غنى عنه، وما كنت لأبيع نصيحتي بغرض الدنيا كلها. وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده»[٩].

*** طاووس يرفض الهدية:**

جاء في ترجمة التابعي الحافظ طاووس بن كيسان، عالم اليمن، والذي أدرك خمسين من الصحابة رضى الله عنهم، أن «محمد بن يوسف - أخو الحجاج - بعث إلى طاووس بسبعمائة دينار أو خمسمائة، وقيل للرسول: إن

---

(٨) المصباح المضيء ٢/٥٠.
(٩) المصباح المضيء ٢/١٣٣، ١٣٤.

أخذها الشيخ منك. فإن الأمير سيحسن إليك. ويكسوك، فقدم بها على طاووس الجند، فأراده على أخذها، فأبى، فغفل طاووس، فرمى بها الرجل في كوة البيت، ثم ذهب وقال لهم: قد أخذها، ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه، فقال إبعثوا إليه، فليبعث إلينا بمالنا، فجاءه الرسول، فقال: المال الذي بعث به الأمير إليك، قال: ما قبضت منه شيئا، فرجع الرسول، وعرفوا أنه صادق، فبعثوا إليه الرجل الأول، فقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبدالرحمن، قال: هل قبضت منك شيئا؟ قال: لا، ثم نظر حيث وضعه، فمد يده فإذا بالصرة قد بنى العنكبوت عليها، فذهب بها إليهم»[١٠] وهذه الحادثة تؤكد أن معظم الهدايا التي تأتي من الكبراء إلى العلماء، إنما الهدف منها هو رشوتهم لإسكاتهم عن الانكار، وهو السبب ذاته الذي يجعل العلماء يرفضون هذه الهدايا ويعفون عنها.

---

(١٠) سير أعلام النبلاء ٥/٤٠، ٤١.

الوقفة (٢٣)

إن أحد أكبر العوائق التي كانت تصادف الرسول ﷺ أثناء دعوته لقومه هو أنهم كانوا يستغربون أن يرسل الله بشراً يأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون، ويمشي بالأسواق، وكانوا ينتظرون أن يكون الرسول ملكا، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبرهن لهم بشرية الرسول ﷺ وأنه مثلهم، إلا أنه يتميز عنهم بالرسالة والتلقي من الوحي الذي جعله قرآنا يتحرك بين الناس ليبدد ظلمات الجاهلية التي أحاطت بهم، ومن صفات بشريته ﷺ أنه كان يمزح، ولكن كما كان يقول عن نفسه عندما سأله الصحابة رضي الله عنهم: «إنك لتداعبنا، قال: لا أقول إلا حقاً»[1].

فكان يمزح ويضحك ولكنه ما كان يكذب من أجل المزاح، بل كان صادقاً حتى في مزاحه، وهذا يمثل قمة الاستقامة والمثالية كبشر، ومن أمثلة مزاحه، أنه جاء رجل اليه ﷺ يقدم له ناقة يركبها. فقال له الرسول ﷺ: «إنا حاملوك على ولد ناقة».

فقال الرجل: يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة.

فقال ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق»[2].

وعن جابر قال «كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي أو وعظ قلت نذير

---

(١) الترمذي (١٩٩١) في البر والصلة، وأخرجه أحمد ٢/٣٤٠ وحسنه الأرناؤوط (شرح السنة ١٣/١٨٠).

(٢) البخاري ـ الأدب المفرد ١/٣٥٩.

قوم أتاهم العذاب فإذا ذهب عنه ذلك رأيت أطلق الناس وجهاً وأكثرهم ضحكاً وأحسنهم بشراً[٣].

إن هذه الوقفات حري بالدعاة أن يستلهموها فينفتحوا على الناس، ويبتسموا معهم ويضحكوا ويمزحوا. ولكن لا يقولون إلا حقا، حتى يحبهم الناس، ولا يعتقدوا كما اعتقد الذين من قبلهم أن الدين يدعو إلى العبوس، وترك الضحك، فيستغربون أشد الاستغراب إذا رأوا متدينا يمزح، ويقبلون عليه أكثر من ذلك الذي اتخذ العبوس منهجاً في تعامله مع الناس.

إن كلمات الوحي ثقيلة، لا يتحملها كل إنسان، وإن النفس لأمارة بالسوء، تحب الإخلاد إلى الراحة وتميل إلى الفتور وتبغض الالتزام، وتفضل السكون عن الحركة، كل هذا يدعونا أن نضع مقدمات ومشهيات، وزينة قبل أن نلقى بكلمات الوحي لمن نريد دعوتهم حتى يتقبلوها دون نفور، ومن بين هذه الأساليب والمشهيات، المزحة الصادقة الخالية من الكذب والاستهزاء والاستنقاص من الآخرين، على ألا تكثر منها حتى لا يملنا الناس، وتقل هيبة أصحاب كلمة الحق.

فهل نعي هذا الأسلوب في الدعوة؟؟...

---

(٣) رواه البزار ـ وحسنه الهيثمي «مجمع الزوائد ١٧/٩».

الوقفة (٢٤) الراكب المستظل

روى الإمام أحمد والترمذي باسناد صحيح أن ابن مسعود قال: دخلت على رسول الله ﷺ وقد نام على حصير، وقد أثر في جنبه، فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير، يقيك منه..؟ فقال: «مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(١).

هكذا يشبه الرسول ﷺ الدنيا والإنسان، فالإنسان راكب مسافر، والشجرة هي الدنيا، والاستظلال تحتها هي فترة حياة الانسان على هذه الأرض، فمنهم من يستظل ساعة ثم يترك الشجرة ويسافر إلى الآخرة، ومنهم من يستظل أكثر من ذلك، ولكن الجميع سيتركون الشجرة لمواصلة المسير إلى الآخرة. ولكن القليل من الناس من يدرك حقيقة وجوده في هذه الدنيا، وبالتالي يتصرف وكأنه من الخالدين الذين لن يطالهم الموت أبدا.

ويمثلها القرآن وسرعة انقضائها بقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾(٢).

يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على هذه الآية: «هذا المشهد يعرض قصيرا خاطفا، ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال. فالماء ينزل من السماء لا يجري ولا يسيل، ولكن يختلط به نبات الأرض. والنبات لا ينمو ولا

(١) رواه الترمذي - بإسناد صحيح (٢٣٧٨).
(٢) الكهف ٤٥.

ينضج، ولكنه يصبح هشيما تذروه الرياح. وما بين ثلاث جمل صغار، ينتهي شريط الحياة.

ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد. بالتعقيب اللفظي في تقصير عرض المشاهد. بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء: «ماء أنزلناه من السماء» فـ «اختلط به نبات الأرض» فـ «أصبح هشيما تذروه الرياح». فما أقصرها من حياة..! وما أهونها من حياة..![3].

ويصفها الرسول ﷺ ويصف الإنسان فيها في حديث آخر كالغريب أو عابر السبيل، ذلك ما رواه بن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»[4].

فالغريب الذي يشعر بالغربة في غير موطنه الأصلي لا يكثر الكلام، ويتورع عن فعل كثير من الأمور بسبب غربته، وعابر السبيل لا يستقر، إنما يمكث لأيام أو أقل من ذلك ثم يغادر إلى موطنه الأصلي، وموطن المؤمن الأصلي هو الجنة.

وتسيطر فكرة مغادرة الإنسان لهذه الدنيا، ووصفها ووصف الإنسان فيها بالمسافر وبالمستظل وبالغريب وبعابر السبيل، على كثير من الشعراء، فيصيغون أجود الشعر عن الزهد في الدنيا وحقيقتها، وهذا أبو العتاهية والذي يعد من أكبر الشعراء في هذا المضمار، يصف الناس في هذه الدنيا بالمسافرين فيقول:

الناس في هذه الدنيا على سفر وعن قريب بهم ما ينقضي السفر
فمنهم قانع راض بعيشته ومنهم موسر والقلب مفتقر
ما يشبع النفس، ان لم تمس قانعة شيء ولو كثرت في ملكها البدر

(٣) الظلال ٤/٧١.
(٤) البخاري ١١/١٩٩، ٢٠٠.

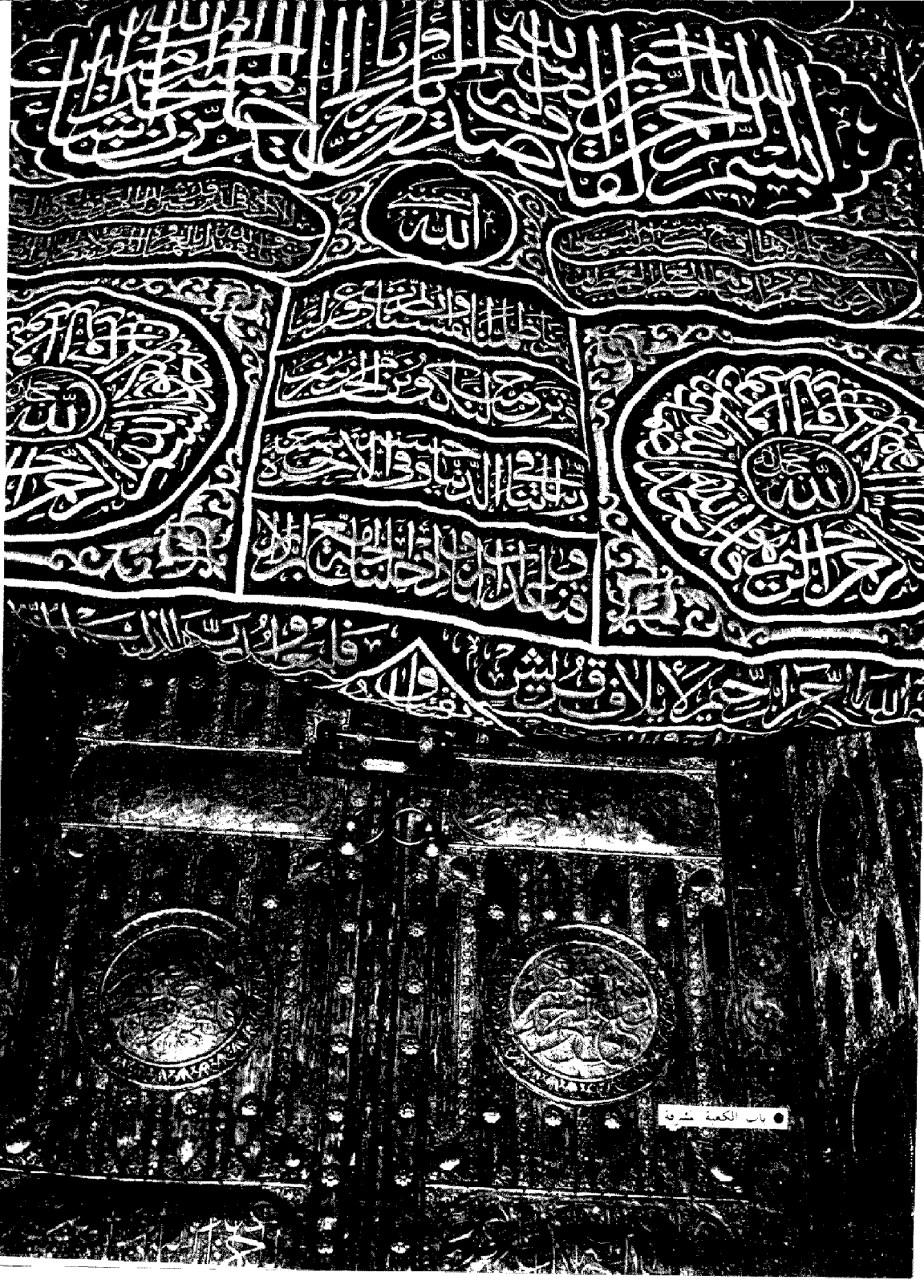

باب الكعبة المشرفة

والنفس تشبع أحيانا، فيرجعها نحو المجاعة، حب العيش والبطر
والمرء ما عاش في الدنيا له نظر فما يموت، وفي الدنيا له أثر

فالذي يعمل الصالحات، وإن مات جسده فلن يموت ذكره بين الناس بسبب ما ترك من الأثر الصالح.

ويتأفف من الدنيا فيقول:

أف للدنيا، فليست هي بدار إنما الراحة في دار القرار
أبت الساعات إلا سرعة في بلى جسمي، بليل ونهار
إنما الدنيا غرور كلها مثل لمع الآل في الأرض القفار
يا عباد الله! كل زائل نحن نصب للمقادير الجوار[٥]

(٥) ديوان أبي العتاهية ص ١٨١ ط دار بيروت.

يخبرنا تاريخنا، بأنه ما من مرة نقابل بها عدونا ونحن نحرص على الدنيا إلا ويكون مصيرنا «الهزيمة» وما من مرة نقابله ونحن حريصين على الجنة زاهدين بالدنيا إلا ووهبنا الله «النصر».

ففي غزوة أحد يحدثنا الصحابي الجليل البراء بن عازب قال: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبدالله بن جبير، قال: ووضعهم موضعا وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى نرسل اليكم، وان رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم، قال: فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتدون على الجبل، وقد بدت أسوقهن وخلالهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبدالله بن جبير: أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنظرون؟ قال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قاله لكم رسول الله؟ قالوا: انا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين[1].

فهذا هو خير القرون، وفيه خير الناس بعد الرسول ﷺ ومع ذلك «يهزمون» وذلك بسبب مخالفة الرماة لأمر القيادة، والتفاتهم للغنائم، فلم يصبروا عندما رأوا الغنائم ملقاة في أرض المعركة فسال لعابهم، ورفضوا الانصياع لأوامر قائدهم، فكانت «الهزيمة»، ونرى الهزيمة تعاود الجيش مرة ثانية في بداية معركة حنين، عندما مالوا إلى الدنيا وأعجبوا بكثرتهم ونسوا

(١) البداية والنهاية ٤/٢٥، وأخرجه البخاري ٧/٢٦٩ بلفظ آخر. وله شاهد من حديث ابن عباس عند أحمد ١/٢٨٧، ٢٨٨ وسنده قوي.

تأييد الله ونصره لهم، بل أعتدوا بكثرتهم وعدتهم، حتى إذا ما عادوا إلى الأصول، وزهدوا بهذه المظاهر، واستجابوا لنداء نبيهم، نصرهم الله بعد الهزيمة. ونسمع قائد جند المسلمين يقول لقائد الفرس «جئناكم بجيش يحبون الموت كما تحبون الحياة» فيوقن القائد الفارسي حينها أن هؤلاء قوم لا يهزمون.

ونأتي إلى زماننا هذا لنرى معاركنا مع «يهود» كلها نتيجتها «هزيمة» ولا نشك أن من أكبر أسبابها حبنا للدنيا بجميع مظاهرها «للعروش، وبغض الشهادة، وحب الحياة، وحب النياشين والأوسمة والنجوم، وحب تجميع المال، وبناء القصور، وحب الشهوات المحرمة» لذلك رأينا مع هزائمنا الخيانات تلو الخيانات، وسمعنا تهديدات زائفة قبل المعارك دون فاعلية، ورأينا ضباطنا يسهرون الليالي الحمراء في ليلة المعركة، ورأينا أحدهم يبيع أرضه للعدو من أجل حفنة من المال، وآخر يتراجع عن قطعة من أرضه خوفاً على عرشه، وآخر يصطنع معركة مع العدو ينتصر فيها ليترك لهم ثغرة يدلخون منها لأرضه ليتوصل بذلك إلى مفاوضات مع العدو، ثم زيارة لأرضه، ثم عقد صلح منفرد معه، ليأمن هو من الحرب ومن الموت، وليبقى في عرشه، وما ظن أنه سينتهي هذه النهاية، ومازالت تلتصق بنا الهزائم تلو الهزائم حتى نحب الموت كما يحب أعداؤنا الحياة. . ونزهد بالدنيا ونحرص على الجنة لكي ننال النصر.

الوقفة (٢٦)

ذكر الإمام ابن القيم في كتابه القيم «زاد المعاد» عن هديه ﷺ في معاشرته لأهله، وفيما يختص بعائشة رضي الله عنها «وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عرقا، وهو العظم الذي عليه لحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها، وكان يتكىء في حجرها ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين، وكان يقول: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[1].

إن السواد الأعظم من الأزواج والزوجات لا يعرفون فن التعامل مع بعضهم البعض، ولا يعرفون هدى الرسول ﷺ في العشرة الزوجية، لذلك تزداد نسبة الطلاق عاما بعد عام، وتقفز قفزات مخيفة، وإذا لم نتدارك الأمر، فإننا على أبواب مشكلة اجتماعية خطيرة. تساهم في تفكك المجتمع وانهياره وتساهم في تكوين جيل من الشباب يخاف من الزواج، ويفضل حياة العزوبة وربما قضى وطره بالحرام، وتساهم في تكوين جيل من الأبناء لم يجدوا الرعاية الأبوية، وبالتالي لم ينشأوا نشأة طبيعية وربما كانوا عالة على المجتمع، ولو تفحصنا الجدول التالي يتبين لنا شيئا من حجم ظاهرة الطلاق في مجتمعنا[2].

سنة ١٩٦٧ عدد المطلقات ٩٤٤

سنة ١٩٧٠ عدد المطلقات ١٠٨٣

---

(١) زاد المعاد ١/١٥٢ ط ـ الرسالة، والحديث أخرجه الترمذي عن عائشة «وصححه الألباني . ص ج ص ٣٣٠٩».

(٢) هذه الاحصائية خاصة بدولة الكويت.

سنة ١٩٧٦ عدد المطلقات ١٥٢٥
سنة ١٩٧٨ عدد المطلقات ١٥٩٨
سنة ١٩٨١ عدد المطلقات ٢٣٠٣
سنة ١٩٨٤ عدد المطلقات ٢٥٥٩
سنة ١٩٨٦ عدد المطلقات ٢٨٣٤

ولو تدارسنا أسباب حالات الطلاق لوجدنا أن معظمها سببه عدم معرفة وتطبيق الحقوق المتبادلة بين الزوجين، فهناك حقوقا للزواج لم تراعها الزوجة، وهناك حقوقا للزوجة لم يراعها الزوج، وهناك سبباً رئيسياً آخر تكون، بسبب عدم إعطاء الزوج حقوق الزوجة كاملة، أو جهله بهذه الحقوق، وهناك سبباً رئيسياً آخر، وهو عدم فهم طبيعة المرأة التي خلقها الله بها، ومن بين هذه الحقوق، التي يجهلها أو يتجاهلها كثير من الأزواج:

● **حسن العشرة:**

يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٣] وهذا عام. لكل أنماط العشرة الزوجية، ويأمره الله سبحانه بالتلطف في موضع آخر بقوله تعالى: «فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ»[٤]. وهذا شامل أن يكون منطلقا معا بالقول والمعاملة وأن يبتعد عن الفظاظة والغلظة.. وأن يراعي حالتها النفسية والعصبية خاصة أثناء الحيض والنفاس، وألا يكون ظالما في قوامته عليها.

يقول الرسول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»[٥].

---

(٣) النساء ١٩.
(٤) البقرة ٢٢٩.
(٥) رواه أبو داود (٤٦٨٢) ورواه أحمد في المسند ٢/٤٧٢ وصححه الألباني (ص ج ص ٢٢٤٣).

ونرى الحبيب محمد ﷺ يسأل أحد صحابته، عمن تزوج، فيرد عليه بأنه قد تزوج ثيبا فيقول له «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك»[٦] والإسلام يجعل أمر الملاطفة مع الزوجة دينا ويحث عليه في أكثر من موضع، ويكون سببا في اكتساب الأجر، حتى وإن كانت لقمة يضعها في فم زوجته مداعبا، وها نحن نرى الرسول ﷺ يقول لسعد «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك»[٧].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يراعون حتى أمر الزينة فيتزينوا لنسائهم كما يتزين لهم، وهذا ابن عباس يقول: «إني أحب أن أتزين لأمرأتي كما أحب أن تتزين لي»[٨].

ويكفي أن يعلم الأزواج أن من آخر الكلمات التي قالها الرسول ﷺ في خطبة الوداع قبل رجوعه للمدينة ووفاته «استوصوا بالنساء خيراً»[٩]. وهذا حق واحد من حقوق الزوجة، فكم من الأزواج يفقهه ويطبقه؟؟.

ثم هذا لا يعني أن الزوجات معصومات من الخطأ، بل إن نسبة كثيرة من حالات الطلاق تكون الزوجة هي السبب، وذلك لعدم احترامها للزوج أو طلبها من الزوج أكثر مما يطيق مما هو ليس من حقوقها أو غير ذلك من الأمور، نسأل الله العظيم أن يوفق الأزواج إلى ما فيه رضاه.

---

(٦) البخاري ١٠٦/٩، ومسلم ١٢٢٤/٣.
(٧) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان) (١٠٥٣) ـ الأوقاف ـ الكويت.
(٨) تفسير الطبري ٥٣٢/٤ ـ ط درا المعارف.
(٩) متفق عليه.

الوقفة (٢٧) الغضب

* **الغضـــب لله:**

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجتريء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟ ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1].

فلا بد من الغضب إذا انتهكت محارم الله، والغضب لله هو الوقود المحرك لتغيير المنكر، فالذي لا يغضب لله إذا انتهكت محارمه لا يجد دافعا ذاتيا لتغيير المنكر، إنما يجد للمنكر مبررات واهية، وذلك حتى يتخلص من واجب الانكار.

* **الغضـــب لغير الله:**

أما النوع الآخر من الغضب فهو الغضب لغير الله، وهذا ما حذر منه الرسول ﷺ، إذ أنه شر تنبع منه شرور كثيرة، فليس مستغربا على من أوتي جوامع الكلم أن يردد كلمة واحدة مرارا «لا تغضب» لولا معرفته بخطورة

---

(١) البخاري ١٢/٧٧ - ٨٥ ومسلم (١٦٨٨).

هذا الداء، فكم من جريمة حدثت وراح ضحيتها أبرياء بسببه، وكم من صداقة تفككت بسببه، والبعض يظن أن الغضب هو مظهر من مظاهر قوة الشخصية وشدة البأس والشجاعة، وهذا مفهوم خاطيء إذ أن قمة البأس أن يملك الانسان نفسه عند الغضب، خاصة إذا كان قادرا على انفاذ الغضب، لذلك يقول الرسول ﷺ«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه(٢).

ولا شك أن الانسان يكون فريسة سهلة لخصمه إذا غضب، لأن الغضب يفقده التحكم بتصرفاته وألفاظه، ويفقده التركيز، وانتظام الألفاظ والأفعال مما يجعله يسدد السهام بثقة في مواضع قاتلة في جسد خصمه المضطرب.

* الحلم والأناة:

هذا ما كان يفعله الامام الشافعي إذا تعرض له السفهاء بالسب والشتائم، وصاغ ذلك الخلق بأبيات من الشعر قال فيها:

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا(٣)

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبدالقيس «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والاناة»(٤).

ويجعل الله سبحانه وتعالى صفة الحلم وكظم الغيظ من عزائم الأمور إذيقول سبحانه وتعالى «وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ(٥)» ويأمرنا

(٢) البخاري ٤٣١/١٠ ومسلم (٢٦٠٩).
(٣) ديوان الشافعي ص ٢٢ ـ ط. دار الجيل.
(٤) مسلم ١٧، ١٨.
(٥) الشورى ٤٣.

الرسول ﷺ إذا غضبنا أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لأنه هو المسبب للغضب كي تنطفيء ناره، ويأمرنا في موضع آخر أن نجلس إن كنا واقفين ونضجع إذا كنا جالسين حتى تخفف وطئه الغضب. ونتذكر ما قالته عائشة رضي الله عنها واصفة حلم الرسول ﷺ وعدم غضبه إلا لله بقولها «ما ضرب رسول الله شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى» رواه مسلم(٦).

(٦) مسلم (٢٣٢٧).

الوقفة (٢٨) المنفقون

روى البخاري في صحيحه: عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار في المدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه «بيرحاء» وكانت مستقبلة المسجد، وكان الرسول ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: «لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ»[1]. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وأنها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يارسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ «بخ بخ ذلك مال رابح، بخ ذلك مال رابح»[2].

هذا الصحابي الجليل، بهذا التصرف، وبهذا الكرم، ما كان أول المنفقين من الصحابة، فمما يروى أن أبا بكر رضي الله عنه عندما طلب منهم الرسول ﷺ الانفاق على جيش العسرة، أتى بأمواله كلها، فسأله الرسول ﷺ ماذا أبقيت لك ولأهلك، فقال أبقيت لهم الله ورسوله، أو كما قال.

وعثمان رضي الله عنه كان من أكثر الصحابة انفاقا حتى أنه جهز معظم جيش العسرة، وكذلك عبدالرحمن بن عوف حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وتصدق بأربعين ألف دينار من دنانير ذلك الزمان..

وما كانوا لينفقوا هذا الانفاق لولا تيقنهم بفضل الانفاق ورؤيتهم

---

(١) آل عمران ٩٢.

(٢) البخاري ٣/٢٥٧ ومسلم (٩٩٨).

للرسول ﷺ وانفاقه الكثير والذي كان له الخمس من الغنائم، ولو أراد أن يكون غنيا لأصبح من أكثر أهل الجزيرة غنى، ولكنه آثر الآخرة على الدنيا، وأهلك ماله في سبيل الله، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي، ولو رأينا كمثال نصيبه ﷺ من معركة حنين لعلمنا أنه كان له:

٨٠٠٠ من الغنم
٤٨٠٠ من الجمال
٨٠٠ أوقية من الفضة
١٢٠٠ من السبي

ولكنه أنفقه في سبيل الله، ذلك لأنه هو وصحبه قد عقدوا البيعة مع الله سبحانه وتعالى لينالوا رضي الله والجنة، عندما باعوا على الله أنفسهم وأموالهم، يقول تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ»(٣).

ولأنه يريد أن يكون الأفضل عند الله، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري، عن أبي سعيد الخدري قال. قيل يارسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»(٤).

ولأنه وصحبه يعلمون، أنه ما ينفقون من نفقة إلا ويخلفها الله لهم ويعوضهم أضعاف ما أنفقوا، وذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن الرسول ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا»(٥).

فما من ممسك، إلا ويتعرض ماله للاتلاف بأشكال مختلفة، كان يبتليه

---

(٣) التوبة ١١١.
(٤) البخاري ـ الفتح ٢٧٨٦ ـ وله تكملة.
(٥) البخاري ٢٤١/٣ ومسلم (١٠١٠).

بمرض فينفق معظم ماله أو كله علاجا لهذا المرض، أو يبتليه بالميسر، أو بتجارة خاسرة، أو بأولاد وزوجة لعوب مبذرة، أو برفقاء سوء، ذلك لأنه لم يعرف كيف يتصرف بهذه الأمانة التي أودعها الله عنده، ليرى هل يشكر أم يكفر، فكان الاتلاف جزاء لجهله بأهمية الأمانة.

الوقفة (٢٩)

في معركة «تبوك» والتي تسمى معركة العسرة، للمشقة الكبيرة التي لاقاها الصحابة للوصول لذلك المكان البعيد المتاخم لحدود الشام، وبسبب الحر الشديد في زمن المعركة، مما أظهر النوعيات الحقيقية، وتميزت عن فريق الجبناء والمنافقين فجاءت فرق المنافقين يعتذرون بين يدي الرسول ﷺ عن الاشتراك في المعركة لأسباب تافهة، ولكن كان هناك فريق من الصحابة الذين عرف عنهم الايمان الحق والشجاعة والتضحية لم يشاركوا في المعركة لا لسبب من أسباب الدنيا وإنما لعدم توفر الوسيلة التي يحاربون فيها، ولقد جاءوا للرسول ﷺ طلبا لوسيلة الحرب، ولكنه ردهم لعدم توفرها لديه، فرجعوا والحزن يلفهم والدموع تملأ مقاليهم، ووصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه بقوله:

«وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ»(١).

مما جعل أحدهم وهو علية بن يزيد، يقيم من الليل، فيتهجد ما شاء الله له أن يتهجد ثم يبكي ويقول: اللهم أنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وأني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض.

---

(١) التوبة ٩٢.

وأصبح الرجل ـ على عادته ـ مع الناس فقال رسول الله ﷺ: أين المتصدق هذه الليلة..؟ فلم يقم أحد، ثم قال: أين المتصدق..؟ فليقم، فقام إليه فأخبره فقال رسول الله ﷺ: «أبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة»(٢).

بهذا العمق فهم هذا الصحابي الجليل المعنى الشامل للصدقة الذي يغفل عنه كثير من المسلمين، ويحصرون فهمهم للصدقة في المال فقط دون الانتباه إلى معانيها الواسعة في الشريعة، وإذا كان الرسول ﷺ قد ذكر بعض أنواع الصدقات حين قال: يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى(٣).

ولأن كانت هذه الصدقات في غالب الأمر هينة على النفس، ميسر العمل بها فإن ذلك الصحابي الجليل قد تصدق بأشق الأمور على النفس، وهو التنازل عن حقه لكل من ظلمه في ماله فأخذه بغير وجه حق ولم يرجعه إليه، أو في جسده فنال منه دون وجه حق، أو في عرضه فاغتابه بما ليس فيه، أو قذفه بما هو بريء منه، أو سبه وشتمه بلا سبب مبرر، فما أعظمها من صدقات لايقدر عليها إلا القليل من المسلمين.

ولعظمة هذا النوع من الصدقات، بشره الرسول ﷺ بأنها قبلت وكتبت في الزكاة، فمن منا يستطيع التصدق بمثل هذه الصدقات؟؟

---

(٢) البداية والنهاية ٥/٥ وصححه الألباني ـ فقه السيرة ص ٤٣٩.
(٣) مسلم (٧٢٠).

الوقفة ٣٠ حقوق الخدم

روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاما لي بالصوط، فسمعت صوتا من خلفي «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» ـ فالتفت فإذا به رسول الله ﷺ ـ فقلت: يا رسول الله: هو حر لوجه الله تعالى: فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار»[1].

هذا هو الإسلام العظيم الذي لايغفل عن أقل الناس شأنا في المجتمع فيعطيه جميع حقوقه، وبسبب الظلم الواقع على أصحاب هذه المهنة إنتشرت في الآونة الأخيرة كثيرا من الحوادث المؤسفة راح ضحيتها في أحد المناطق طفلان على يد إحدى الخادمات، وطفل آخر مات مخنوقا على يد إحدى الخادمات أيضا، وأخرى أقدمت على الانتحار، وأخريات اشتكين في المخافر لشدة الضرب والمعاناة التي يلاقينها عند من يعملن عندهم من أمثال البشر.

لا شك أن الظلم من أبشع الأخلاق التي يتعامل بها ابن آدم. وهي صفة ذميمة مقيتة، مقتها الله وحرمها على نفسه عندما قال في الحديث القدسي «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[2]. وذلك في القرآن الكريم إن الظلم يكون سببا في هلاك القرى إذ يقول سبحانه وتعالى «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا»[3].

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٩) الايمان.
(٢) مسلم (٢٥٧٧).
(٣) يونس ١٣.

والمظلوم يتقبل الله دعاءه كائنا من كان، وجاء في ذلك جملة من الأحاديث منها ما رواه البخاري «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»(٤).

ولعل البعض يقول: ولكن هذا الخادم ليس مسلما فيرد عليه الحديث الذي أخرجه الامام أحمد باسناد صحيح «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب»(٥).

وقد يشعر المرء أحياناً بضيق وقلق، ويلاحظ أحياناً أخرى أن الأبواب موصدة في وجهه أينما ذهب، وإنه لا يوفق في عمل البتة ولعل كل هذه الظواهر بسبب ظلمه لهذا الإنسان الذي يعمل عنده، وسلب حقوقه التي شرعها الإسلام.

علما بأن هذه الحقوق التي سنتناولها إنما هي للملوك «العبد» فيكون من باب أولى «الحر» الذي لا يملكه من يعمل عنده.

ومن أبرز هذه الحقوق ما يلي:

١ـ الطعام المناسب لحالة سيده:

يقول الرسول ﷺ «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»(٦).

فيسميهم هنا الرسول ﷺ «إخوانكم» حتى وان كانوا كفارا فإنما هي أخوة إنسانية، ويقرر الحديث مجموعة حقوق للخادم كالتساوي في الطعام والملبس وألا يشق عليه بالأعمال أكثر مما يطيق، وأكثر مما يعطيه من الأجر.

---

(٤) الترمذي (٢٠١٥).
(٥) رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده، وحسنه الألباني (ص ج ص ١١٨).
(٦) البخاري (الفتح ٣٠) ـ كتاب الايمان.

٢ـ تـرك الضـرب:

كما مر معنا في المقدمة.

٣ـ مراعاة شعورهم الآدمي:

حتى مراعـاة شعـورهم الآدمي كان حقـا من حقوقهم المكفولة في الإسلام. فلا يحق للمالك أن يسب ويشتم ويستهزيء ويقذف ويتهم دون وجه حق، كما يحدث في كثير من الأحيان، بل ليس له الحق أن يقول «عبدي» «وأمتي» وذلك ما أخبرنا به الرسول ﷺ في الحديث الذي أخرجه «مسلم» «لايقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيدالله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي»(٧). هكذا يجعلهم كأنهم أبناء للمالك، وواجبه نحوهم واجب الأبوة الإنسانية.

٤ـ حق التمريض والعـلاج:

ويعيش بيننا صنفان من الناس، الأول هو الذي لا يتحمل أبدا أن تصاب خادمته بمرض، ويريدها أن تكون ملكا، أو كأنه يريد ضمانا بأنها لاتمرض، وهناك مقابلة أجريت مع خادمة أحدهم، تقول: أرسلني سيدي إلى المكتب رافضا لها بسب إصابتها بالانفلونزا.

وصنف آخر لا يصدق الخادمة عندما تشتكي مرضا أصابها، وربما لا يصدقون حتى يرونها جثة هامدة أمامهم، وهذا صنف من الناس قد نزع الله الرحمة من قلوبهم، يقول الرسول ﷺ «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»(٨). وروى الترمذي بإسناد حسن «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»(٩).

---

(٧) مسلم (٢٢٤٩).

(٨) البخاري (١٣/٣٠٣).

(٩) الترمذي (١٩٢٤) وحسنه الأرناؤوط (شرح السنة ٣٤٥٠).

٥ـ حق المسكن المناسب:

فلا بد من تهيؤ مسكن حسن، فيه تكييف للصيف، وتدفئة للشتاء، وسرير تنام عليه.

٦ـ أداء الأجـــر وعدم تأخيره:

فكثير ممن نزع الله الرحمة من قلوبهم، وقست قلوبهم فغدت كالحجارة أو أشد قسوة، لا يستشعر حالة تلك المسكينة التي لها عيال في بلدها وزوج ينتظرون بفارق الصبر تلك الدنانير التي تأتي لهم من أمهم، فيعمد البعض إلى تأخير الراتب شهرين أو أكثر، أو المماطلة بتسليمه، هذه أحد الأسباب التي جعلت أحدهم يقوم بالانتحار، فيا ويل من كان السبب.

هذه بعض حقوق الخدم والخادمات، ويغلب على الظـن أننا لو عملنا بها، لاختفت ظاهرة الاعلان الذي مللنا رؤيته في الصحف، «خرجت ولم تعد» ولما أصبح متسعاً لمثل تلك الجرائم البشعة التي تحدثنا عن بعضها في المقدمة.

مدرسة الشهداء

الوقفة (٣١)

عوف ومعاذ أبناء عفراء هما بعض نماذج هذه المدرسة النبوية التي كانت تربي الأطفال على حب الشهادة، فيقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل نصرة دين الله، وما كان هؤلاء الأطفال يتعلمون من أمهاتهم حب الدنيا وكراهية الموت، وما كانت تلك الأمهات العظيمات تربيهم على الترافة، ومصادقة الفتيات في النوادي البحرية، وعلى السفر لوحدهم في بلاد الغربة مع أبناء السوء، ولا كن يعطينهم الأموال الطائلة وهم أطفال ليستخدموها في الطريق الخاطيء، ولا كن يضحكن إذا استخدم أبناؤهن بعض كلمات السب والشتيمة، بحجة أنهم أطفال، بل كن يربينهم على الجهاد وحب الله ورسوله وعلى الصلاة والتعويد على الأخلاق الفاضلة، فهذه احدى تلك الأمهات العظيمات «عفراء» هي إحدى المدارس التي أنشأها النبي ﷺ لتخريج أطفال مجاهدين، وها هما ابناها «عوف»، و «معاذ» وهما غلامان يشاركان في معركة «بدر».

يقول عنهما الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف متحدثا عن أيام «بدر» «إني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا بغلامين من الأنصار، حديثة سنهما، فتمنيت لو كنت بين اضلع منهما «أي بين أقوى منهما وأشد» فغمزني أحدهما وقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل بن هشام؟ قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: بلغني أنه كان يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده،

حتى يموت الأعجل منا «أي لا يفارق شخصي شخصه، حتى يموت منا الأقرب أجله»، وغمزني الآخر، وقال لي مثل ما قال الأول...».

وتطلع عبدالرحمن بن عوف فرأى أبا جهل، فدل الغلامين عليه، فسارعا إليه، وابتدراه بسيفهما، فضرباه فصرعاه، وهو بين الحياة والموت[1].

«ويروى أن معاذ بن عفراء حينما طعن أبا جهل، أقبل عليه عكرمة بن أبي جهل وضربه بسيفه، فأصيبت يد معاذ، ولكنها بقيت معلقة فيه بجلدة، فاحتمل ذلك، وظل يجاهد وهو يسحب يده المعلقة، فلما آذته وضع قدمه عليها، ثم تمطى حتى فصلها عنه، واستمر يجاهد، هو وأخوه حتى نال أخوه الشهادة وبقي هو حتى زمان عثمان»[2].

نحتاج في زمان الانحدار الذي نعيشه من أمثال هؤلاء النساء الأمهات اللاتي يخرجن مثل هؤلاء الأطفال الذين يعشقون غبار المعارك ذوداً عن دين الله، ولا يحبون حديثاً إلا عن الجهاد، ولا نريد أطفالا ملأت أذهانهم بـ «توم وجيري» و «السيارة العجيبة» و «جنجر» وباقي سلسلة الخرافات التي لاتربي إلا أطفالاً خرافيين، وليسوا أطفالاً مجاهدين، ونريد أطفالاً هوايتهم حفظ القرآن والصلاة في المساجد، وبر الوالدين، وأدعية الصباح والمساء لا أن تكون هوايتهم حفظ أغاني «مايكل جاكسون» وجمع أشرطة الفيديو له، والتزحلق معظم أوقاتهم في صالة التزلج، والوقوف أمام المرآة الساعات الطويلة لتسريح شعورهم، ليكونوا القاعدة لجيل الجنس الثالث.

إن الأمة التى تريد العزة لابد لها أن تسلك طريق الجهاد، لأنه ما ترك

---

(١)(٢) هناك خلاف فيمن قتل أباجهل أهو معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء أم هما ابنا عفراء معاذ وعوف، والصحيح أنهما ابنا عفراء معاذ وعوف كما جاء في حديث أنس حين قال النبي ﷺ «من يأتيني بخبر أبي جهل؟ (الحديث) وفيه: أن ابني عفراء قتلاه». هذا ما ذكره السهيلي في الورض الأنف ـ السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٣٤، ٦٣٥ ط ـ البابي الحلبي.

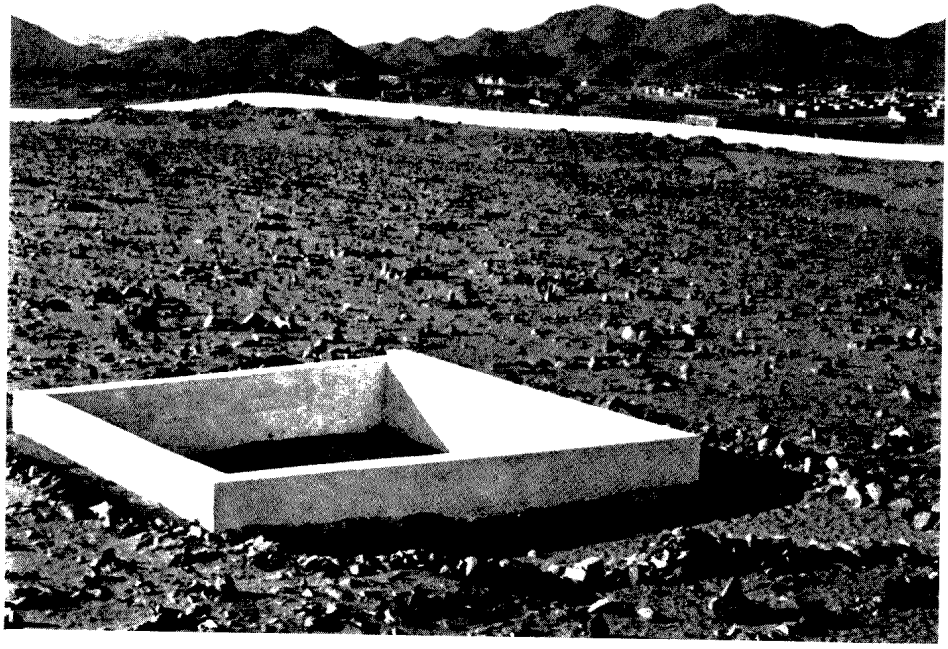

شهداء بدر

قوم الجهاد إلا ذلوا، وعندما تسلك الأمة طريق الجهاد ينشأ فيها أطفال أمثال عوف ومعاذ، والتاريخ شاهد لهذه الحقيقة، يحدثني أحد المجاهدين من أهل اليمن عن بعض المواقف أيام الحرب بين الجبهة الشعبية الشيوعية وبين أبناء الحركة الإسلامية الذين كانوا يدافعون عن الأراضي اليمنية الشمالية، يذكر عن حوار سمعه بين فتاة صغيرة وأمها العجوز في إيصال الطعام للمجاهدين في قمة الجبل المقابل للجبل الذي نصب عليه الشيوعيون مدافعهم ورشاشاتهم يحصدون كل حركة يرونها أمامهم، قالت الأم لابنتها الصغيرة: سآخذ الطعام إلى المجاهدين وابقي أنت مع إخوانك الصغار.

قالت الفتاة: بل دعيني أنا الذي أذهب لإيصاله.

قالت الأم: يا بنتي دعيني أذهب فلعلي أنال الشهادة كما نالتها أختي.

قالت الفتاة: إذا مت يا أماه فمن سيرضع أخي الصغير، أما أنا فليس لي أطفال أرعاهم بعد مماتي فاتركيني أذهب لأنال الشهادة.
يقول الأخ المجاهد: وما زالت الفتاة تجادل أمها حتى غلبتها وأخذت الطعام بنية الشهادة، إلا أن الله سلمها حتى أوصلت الطعام.

وفي أيامنا هذه عندما تحرك الشعب في فلسطين للجهاد في سبيل الله وقام الجميع قومة رجل واحد، خرج أطفال الحجارة يفتحون صدورهم بشجاعة نادرة، لرصاص العدو الصهيوني، ويقولون لهم اقتلونا لو كنتم رجالاً، ويقذفون بالحجارة الجنود المدججين بأحدث الأسلحة وهو يصيحون الله أكبر، الله أكبر، ويرددون أناشيد الشهادة من على مآذن المساجد، ويقولون في هتافهم «خيبر خيبر يا يهود، دين محمد سوف يعود».
نعم.. يتكرر خروج مثل هؤلاء الأطفال كلما أرادت الأمة أن تسلك طريق الجهاد، وكم في أفغانستان من مثل.

الوقفة (٣٢)

يروي صهيب الرومي عن بعض أحداث الهجرة فيقول «وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكيا ـ فناموا.. فخرجت ولحقني منهم ناس بعدما سرت يريدون ليردوني فقلت لهم أن أعطيتكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي؟ ففعلوا، فتبعتهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها أواقي، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين.. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء، قبل أن يتحول منها، فلما رآني قال: «يا أبا يحيى ربح البيع» فقلت يارسول الله ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام»[1].

فالمتعارف عليه عند الناس أن من خسر ماله فهو الخاسر، ومن ربح مالا إضافيا على ماله فهو الرابح، وحادثة صهيب في الميزان البشرى تعد خسارة لصهيب، ولكنه ربح في ميزان الله، ذلك إن موازين الاسلام تختلف عن موازين البشر في عقولهم المحدودة، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ»[2] فعلى هذا يكون من باع نفسه وماله في سبيل الله رابحا وضامنا للجنة التي لا يوجد

---

(١) البداية والنهاية ٣/١٧٤ ، وقد جاء في رواية ابن هشام «ربح صهيب» وصححه الألباني فقه السيرة ص ١٦٦.

(٢) التوبة ١١١.

شيء على الأرض أغلى منها، بل إنه كما جاء في الأحاديث الصحيحة، إن الحورية من الجنة لو أطلعت لغطت شعاع الشمس ولو وقع خمارها على الأرض لعطر الأرض كلها، إلى ما فيها من أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وما فيها من الأشجار، التي سيقانها من الذهب، وما فيها من القصور المبنية من الذهب وما فيها من النعم والملذات التي لايحصي عددها إلا الله سبحانه.

فلا شك أن من ربح هذه الجنة مقابل بذله لما يملك من مال في الدنيا يكون رابحا في ميزان الاسلام، وأنه لايدخل أحد الجنة حتى يثقل ميزانه بالأعمال الصالحة، لذلك قال تعالى «فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ»(٣) أما الخاسرون في ميزان الاسلام هم ليسوا أولئك الذين خسروا أموالهم في الدنيا بالتجارة أو بغيرها، لكنهم الذين خفت موازينهم يوم القيامة بسبب قلة أعمالهم الصالحة التي قاموا بها عندما كانوا في الدنيا، لذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾(٤).

ولترسيخ معنى مفهوم الربح والخسارة عند الصحابة رضي الله عنهم، قال لهم رسول الله ﷺ في ذات يوم مختبرا تغلغل هذا المفهوم عندهم «هل تدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة ويأتي قد شتم عرض هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(٥).

فهذا هو المفلس في نظر الاسلام، وذلك هو الرابح، الذي ربح الجنة ببذله المال والنفس في الدنيا.

---

(٣) الأعراف ٨.

(٤) المؤمنون ١٠٣.

(٥) مسلم ٢٥٨١ ـ كتاب البر والصلة.

ظاهرة الانتحار

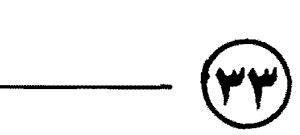

روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي قال: نظر النبي ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين ـ وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم ـ فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا» فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت، فقال بذبابة سيفة فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: «إن العبد ليعمل ـ فيما يرى الناس ـ عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل ـ فيما يرى الناس ـ عمل أهل النار، وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بخواتيمها»[1].

وهذا يدل على أن الانتحار ليس ظاهرة جديدة على المجتمعات الإسلامية بل إنه حدث حتى في العصور الذهبية للاسلام، ولكن نسبة الانتحار تتفاوت من مجتمع إلى مجتمع بحسب عقيدة كل مجتمع، ولهذا السبب فإن نسبة الإنتحار في المجتمعات الإسلامية هي أقل نسبة بالعالم بمقارنتها بمثيلاتها من النسب في البلاد النصرانية أو الوثنية أو اللادينية.

والدافع الرئيسي في جميع حالات الانتحار في العالم هو «الابتلاء بمصيبة، وعدم الصبر عليها» فيريد أن يتخلص من معاناة آلام المصيبة التي حلت به بالتخلص من نفسه، وذلك ناتج عن ضعف في الشخصية يجعله غير قادر على مواجهة أعباء الحياة.

---

(١) البخاري ١١/٢٨٣.

إن هناك أسبابا كثيرة تجعل المنتحر يقرر الانتحار، منها:

١ـ عدم إدراك أن الابتلاء سنة من الله:

يقول تعالى في كتابه الكريم: «الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ»[٢] وفي هذه الآيات تقرير على أن الابتلاء سنة من عندالله إذا انتهجوا منهج الحق. والأمر الآخر الذي تقرره تلك الآيات، إن هذا الابتلاء، قد حدث لمن قبلنا من الأمم، ثم تذكر الآيات الحكمة من وراء هذا الابتلاء، وهي معرفة الصادق من الكاذب من العباد، إذ إن الصادق سيعرف أن هذا اختيار من الله، وليس له كعبد أن يعترض على سيده فيرضى بما قدره الله له دون احتجاج، وأما الكاذب فسوف يحتج على القدر ويسخط ويتمرد على عبوديته لله.

٢ـ عدم إدراك أن هناك من هو أشد منه بلاء:

فما من مبتلي ببلاء، إلا وهناك من هو أشد منه بلاء. يروي ابن الجوزي باسناده عن عبدالله بن زياد «أن أحد الصالحين وكان قائدا بارزا. بعث لأمه قبل أن يموت: يا أماه اصنعي طعاما واجمعي من قدرت عليه، ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، فلما وصل كتابه، فعلت ما قال لها، وقالت لا يأكل من هذا الطعام من أصيب بمصيبة، فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد فقالت: من يبلغك عني أنك وعظتني فاتعظت، وعزيتني فتعزيت، فعليك السلام حيا وميا»[٣].

ومن تذكر مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

٣ـ عدم إدراك أنه ملك لله:

فليس له الحق في التصرف فيما لا يملك، فهل يعقل أن يؤمن أحدهم

---

(٢) العنكبوت ١ـ٣.

(٣) تسلية أهل المصائب ص ١٥ ـ ط مكتبة دار البيان.

وديعة عند آخر، ويتفق معه على موعد محدد أو غير محدد لاسترجاعها فيقوم الآخر بتدميرها أو سرقتها أو استعمالها على أي شكل، فهذا يسمى عرفا أنه ـ غير أمين ـ وسارق ـ فكذلك الإنسان فإنه ملك لله، فهو الذي خلقه من نطفة من مني يمنى وقبلها لم يكن شيئا مذكورا، أفيكون له الحق أن يتصرف فيما لا يملك؟؟.

٤ـ عدم استشعار الأجر:

فما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا وكان ذلك بابا من أبواب الأجر والمغفرة، روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»(٤)

٥ـ الجهل بمصير المنتحر:

وكذلك كثير من الذين قدموا على الانتحار لم يعرفوا ما هو مصيرهم، وهو الخلود في النار، مصداقا لما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما، فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»(٥).

---

(٤) البخاري ١٠/٩١ ومسلم (٢٥٧٣).
(٥) البخاري ١٠/٢١١ ومسلم (١٠٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة:

يقول تعالى في كتابه الكريم ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١) وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾(٢).

فمحبة الله تقتضي إتباع النبي ﷺ، وإن من أكبر المآسي التي ابتليت بها الأمة، أن أفرادا من هذه الأمة خرجوا علينا ببدعة فصل القرآن عن السنة، وهذا إن دل على شيء سوى الجهل، فإنه يدل على الكذب بإدعاء محبة الله تعالى، لأن النتيجة الطبيعية لمحبة الله هي اتباع نبيه ﷺ، وإن من الاتباع له ﷺ إتباع ما قام به في حياته اليومية، وما طبقه من أخلاق نبيه وبين ربه، وبينه وبين صحابته، وبينه وبين باقي فئات المجتمع، وهذا بمجموعه هو السيرة النبوية الكاملة.

وإن من كان يسعى لارضاء وجه الله تعالى، واختار الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، سواء أكان فردا أو جماعة فليس له سبيل إلا الاقتداء بسيد البشر بما قاله وقام به في حياته ومن هنا تنشأ أهمية تناول السيرة والوقوف معها في وقفاتها الكثيرة التي لا تمل، حتى لا ينقطع الاقتداء بزعيم الأمة، وكأنه حاضر بيننا في كل لحظة من لحظاتنا في داخل بيوتنا، وفي الشارع، وفي العمل، وفي صراعنا مع الباطل بشتى أنواعه وألوانه، فلا سبيل إلى النصر إلا بذلك، والله مع الصابرين.

---

(١) آل عمران ٣١.

(٢) الأحزاب ٢١.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع — الصفحة

* مقدمة ٥
* خطورة الإسلام على القوى العالمية ٧
* أحقاد يهود على الاسلام ٩
* شبهات الباطل حول الحق ١٢
* حيل الباطل في فتنة الدعاة ١٥
- تكرر الصورة .....
- أنواع هذه الحيل .....
* أليس الله بكاف عبده ١٩
* الشعوب والقيادة المفقودة ٢٢
* صرخات نساء ولا معتصم ٢٤
* أسلوب الداعية في كسب القلوب ٢٦
* ثبات الدعاة أمام المغريات ٢٩
* عجز الصبر عن صبره ٣٢
* العفو عند المقدرة ٣٥
* زوجات الدعاة ٣٩
سيدة نساء العالمين ٣٩
زوجة الداعية ٤٠
زوجات الصحابة ٤١
أم سلمة ٤٢
أم سليم ٤٢
معاذة العدوية ٤٤

نماذج من محنة الأخوان ٤٥
أمنية قطب ٤٥
نموذج من أفغانستان ٤٧
نموذج من اليمن ٤٨
* وسائل الإيضاح في أسلوب الرسول ﷺ ٤٩
وسائل الإيضاح البعيدة ٤٩
وسائل الإيضاح القريبة ٥٧
إستغلال الظواهر الطبيعية ٥٩
* الطاعة في الدعـوة ٦٢
بيعة الأنصار ٦٢
سعد يتذكر البيعة ٦٢
دقة الجندية الإسلامية ٦٤
لماذا يطيعون ٦٥
* حـدود الطاعـة ٦٧
* إنهم لا يعتذرون ٦٩
أسباب الاعتذار ٦٩
اعتذارات مهزوزة ٧٠
من علامات السقوط ٧١
* لا مناصب في الدعـوة ٧٢
* دروس من حادثة حاطب ٧٥
الدرس الأول: كـل ابن آدم خطاء ٧٦
الدرس الثاني: لا اجتهاد بعد اتفاق ٧٧
الدرس الثالث: التريث قبل إصدار الحكم ٧٨
الدرس الرابع: إعانة الضعيف وإقالة عثرته ٧٨
الدرس الخامس: ميزان تقويم الرجال ٧٩
الدرس السادس: التأدب مع القيادة ٨٠
الدرس السابع: كفاية الله للمجاهدين في سبيله ٨١
* خشوعهم وتخاشعنا ٨٣

* التصفية الدائمة ٨٦
ما هي التصفية؟ ٨٦
أنواع الشوائب ٨٧
تذكر الحقائق طريق إلى التصفية ٨٩
التصفية الكاملة ٨٩
* الذلــة الشرعية ٩١
الاسلام والعزة ٩١
الذلة الشرعية في القرآن ٩١
خفض الجناح في السيرة ٩٢
أقسام خفض الجناح ٩٣
صعوبة التجاوز ٩٤
* العفة عن أموال الناس ٩٦
يرفضون أن يشتريهم أحد ٩٦
عطاء يرفض الهدية ٩٧
الفضيل يرفض الهدية ٩٨
أبو حازم يرفض الهدية ٩٨
الأوزاعي يرفض الهدية ٩٩
طاووس يرفض الهدية ٩٩
* دعابة الرسول ﷺ ١٠١
* الراكب المستظل ١٠٣
* هزائمنا وحب الدنيا ١٠٧
* العشرة الزوجية ١٠٩
* الغضــب ١١٢
* المنفقون ١١٦
* صدقات البكائين ١١٩
* حقوق الخــدم ١٢١
* مدرسة الشهداء ١٢٥
* موازين الإسلام في الربح والخسارة ١٢٩

* ظاهرة الانتحار ١٣١
* الخاتمة ١٣٤
* الفهرس ١٣٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مكتبة المنار الإسلامية »

للنشـر والتوزيـع

الكويت ـ ص.ب : ٤٣٠٩٩ ـ حولي

الرمز البريدي : 32045

تلفـون : ٢٦١٥٠٤٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com